

Free



THE PALESTINIANS

A Long, Bloody

لی، لوفتان، لوفتان، لوفتان

لی، لوفتان، لوفتان، لوفتان

مع خالص، لوفتان

مخبر، لوفتان، لوفتان

۱-۲-۹۱

آجله

صف ما

ولم

باقية

بينا

هذا

إلى أولادي و أهابي ، وكما أأمل ،

أصدقائي أرفيأ ، الآن وفي الغفيل ،

أهدي هذه الرسالة لكم ، هدية لم

تفتاروا مثلها مني ، ولن نشر بجملة

لديكم كما نشرها هدايا صاحب لند وباريس

والمطارات ... ولكننا مع ذلك ، قد نكون

في حياة وديمومة أفضل من حياة وديمومة

كثير من تلك الهدايا ، ولربما نكون أنفع ،

مع إيتي من أجس على القول بذلك ،

و سأترك الحكم لكم ،

وهي زينة من الأفكار ، عنكم أو لكم ،

راودتني خلال فترة انقطاعي عنكم ،

في سجن الرملة ، من تاريخ ١٩٩١/١/٢٩

أباكم الـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أولادي . جليل . آجبال . براق .

كلما أذهب في رحلة بعيداً عنكم أأحاول دائماً أن أجد شيئاً أجلبه
لكم عند عودتي ، والهدايا المحببة متناثرة بيني وبين سؤال الأيدي - على الأقل
تلك منها التي تستطيع شرائها بالأموال الموفرة ، وأنا أعرف أنها قليلة -
أما الآن ، وأنا في رحلي هذه ، وهي أطول رحلة أقضيها بعيداً عنكم ،
فقد توجهت نحو الكونيت والمعروضات ، ولقد أتيت بالتالي من العودة
إليكم حاملاً لكم الهدايا ، فكانت هذه الفكرة ، أن تجعل هذا القدر ،
والذي أحده لي أحد المناظرين من سجن نفحة ، والذي أوصاني بأن أجه
له شيئاً خاصاً وصغيراً - أن تجعله لكي أدون فيه بعض ما
أود قوله إليكم ، وبعض ما وردت في أمانتي أن أقوله لكم ولم
أتكني ، راجياً أن تكون هذه الرسالة المطولة إليكم ، هدية باقية
بكم ، وسعيدة ومحادثة من والدكم ، تستطيعون مراجعتها كلما
أردتم ، عليكم تدنثون بالذكريات التي قد تثيرها لديكم وتسرعون
من قلوبها بعض أمانيكم الناشئة وأنتم تطالعون بالعالم من حولكم
وتعرضون لطائفة العالم لكم .

وفي هذا المساء ، الذي سبق أول أيام رمضان المبارك ، وبينما
لحزنت أخصام مع نفسي حول ما إذا كنت سوف أصوم خلال هذا
الشهر ، تنوّر إلى خاطري ذكريات شهر رمضان الماضي ،
وكيف ستجمعتم الشجاعة لكي تخوضوا هذه التجربة النفسية

الصعبة ، وكيف لطبقتم في آن تفيقوا عنه وقت السجود لكي
تسجدوا ، ولا زلت أرى في عين ذاكوتي براق وهو ينظر في الغوم
وأبال وهو ينتزع نفسه من السور التزاعاً ، وجمال وهو يسير
إلى طائفة المطيع ، وثم يعود بعد انتهائه ، وهو في غاية الجدية
والمسؤولية ، وتكلمون فوكم ، وثم يبدأ النهار ، وتبدأ
صواعكم مع رغبائكم ، فنعكم من يصعد إلى منزلة الدرجة ، ونكم من
يصعد اليوم كله ، ونسارع في اللغات الأفيّة قبل ضرب المدفع
لشراء الكحل ، والخبز ، والسوى والتعز ، ثم نجلى سوية ، أحياناً
عند هديكم ، وأحياناً في البيت ، فنلتهم الأكل معاً ، وفي من الفترات
العظيمة التي نجلى فيها معاً على طائفة الأكل ، لأني ، وذلك بسبب
تغيبني المستمر عن البيت ، والتهاتي بالعمل ، وبالوضع الذي
نفيته .

أتذكرون يوماً ما عندما أصر جمال وأبال على رؤية المدفع ؟
فذهبنا إلى مقبرة باب الدعوة ، ومشيينا إلى قعة الهضبة ،
حيث رأينا المدفع ، ورأينا الرجل المسؤول عن صربه ، وأدفع
لنا من القطن وكومة الخردة ؟

أحاً هذا الشهر ، فلا نفي من آتئني من لسطعاهم معكم ، بل
لن آتئني من لسطعاهم لرهلاً ، إذ إن الانغلاق في مخوفة
صغيرة ، موصد بابها بالأقفال ، ليغني قريباً جداً من
السيجارة ، ومن القهوة ، والشاي ، وفي حوامة شحولية

مع هذه "التلييات" و"الإنمغالات" ، لدرجة تتطلب منا أن
أكون أكثر صلابة وقادة مع نفسي ، ومعاونة لرونياتي ووضعتني
بما قد تستطيع .

بالطبع ، كنت المسلم الوحيد في هذا السجن ، وفي غرفة تبعد بضع
الآمتار عني هناك غرفة يوجد فيها ثمان صابرين أو أكثر ، و
معظمهم من الحركة الشيعة الإسلامية من لبنان ، أو جماعة
قرب الله كما يدعون أنفسهم ، وكلهم يصومون خلال رمضان ،
و بجانبهم هناك غرفة أخرى شباب حركة فتح ، وكلهم أيضاً
في خارج البلاد ، ويعمل بعضهم في البعثة الفلسطينية ، ومنهم
أخيراً من يصوم . لكن الفارق بينهم وبينني أنهم يعيشون معاً ،
ويشجع بعضهم الآخر ، بينما وضعي كحقل إداري مختلف ، وهناك
سبعة مخزلة مفروضة علينا . أقول "علينا" لأننا الآن ثلاثة ،
أحمد محمد الصفدي وهو في الأكنس المجاور ، رقم ١٣ ، وهي
الغرفة التي آتيت إليها حال وصولي السجن ، وهذه هناك الآن لوجهه ،
وأما أنا فأوجد الآن في الغرفة ١٢ ، والتي أتى إليها الأسبوع
الماضي معقل إداري جديد ، اسمه محمد موسى ، وهو من منطقة
راس العاصور بالقدس . ومحمد موسى قضى سنتين في السجن قبل
هذه المرة ، أهدأ أكثر من سنة لأنها مه بالعمل مع جان الكبيرة
الشيعة . أما الصفدي ، فينتظر الآن محاكمته بتهمته كونه مسؤولاً
مكوناً للجبهة الديمقراطية ، وهو أخ محمود الصفدي ، الذي

أحد في هذا الدتر، والذي يقضي الآن حكماً لنزلة ٢٧ سنة
في حين النعمة - بصوروا كيف يمكن لإنسان في بداية
عمره (كان حوالي ٣٥) سنة من عمره العام الماضي حين صدر القرار
حجته) أنه يظن السجني وأمانه الحقيقة بأنه فيما لو قضى
الفترة كلها داخل السجن منوف يكون عمره حوالي ٥٠ عاماً عند
الخروج - ولكن، لدى هؤلاء السجناء أمل دائماً بأن
تتم صفقة لتبادل الأسرى يستطيعون فيها أن يخرجوا من
السجن وأن يتابعوا حياتهم بشكلها الطبيعي، أو على شبه
الطبيعي.

هذا قدر الشعب الفلسطيني، أن يعاني في المعتقلات، وأن يعاني
تحت الاحتلال، وأن يعاني في المحاكم، إلى أن يقضي الله أمراً
كان مفعولاً.

أما أنتم، أحبائي، فلدا آفني عليكم بأني أشعر أحياناً بذب
بما همكم، نظروف الحياة حولكم ليست سهلة، إذ إنكم أولاً
فلسطينيون، والفلسطيني إنسان يفكر إلى مقومات الحياة
العادية، نداء في بيته، ولدا طفتان في طريقه للمدرسة،
ولدا هو قد للإبداع والتفوق في مدرسته، أو في جامعته، ولدا مجال
للعمل بعد تخرجه، وهو إن استطاع نزع العقبات أمامه فلدا أنه
بذل مجهوداً خارقاً للعادة، وهذا كحدّ فرضته عليكم،

ولم يجز لديكم اختيار فيه .

أما ثانياً ، فولدتكم بريطانية ، مما قد يعجب اللازم عليكم وخاصة
في مرحلة ما من مراحل نموكم . وأنا أسال نفسي دائماً ، كيف يؤثر
ذلك عليكم ، وهل تشعرون أحياناً بنزع من الغربة في مجتمعكم وبين
أصدقائكم ومعارفكم ؟ وهنا أظننا يبدو أن الطرف يتطلب
منكم أن تكونوا صلبين وأقوياء فوق العادة ، أي أن تبكثوا داخل
أنفسكم حتى تجددوا فيها تلك الصلابة التي تكون منها
ذاتيتكم . وأنتم حين تعترون قلبكم عليها سوف تجدون لراحة كمية ،
وهي صفة موجودة في ذات كل منا ، تتكون من الصلابة مع النفس ،
بل والصدقة والمفاهيم معها ، والتشبث بالحق وما يحليه العقل ،
وتغليب الإرادة الواعية على الفعل ، والمطالبة الذاتية عند الصنف ،
والثقة أو القدرة على موازنة الحق موجودة في داخليتكم ، وأنكم
بالتالي تسيرون لأنفسكم في تقرير الفعل ، وفي ترسيده الفكر ،
هذه هي ، على ما أظن ، بعض صفات تلك الصلابة الصخرة ، صخرة
الذات ، ولعل والدي (هذكم) رحمه الله كان يشير إليها
وتيكلم عنها عندما كنت أفسر منه مصدر موته . ولعله كان
من النادرين الذين عرفتهم ويتوقع بعد هائل القوة ، وكأنه
كان يحمل معه في جيبه أينما ذهب سلاح سرّي به يتفانى
على سائر أعدائه ، وينرض الاقترام على كافة معارضة . هذه هي
صخرة الذات التي عليكم اكتسابها ، وضرة اكتسابها لكم

أكثر منها للأفريق ، مع انها كنز تمين لادفيا هي لكل من يتطوع
التوصل اليها ، وبناء شخصيته بعد هذوره فيها .

و أنا بالطبع أتأمل ، وأتوقع ، ان هذين الطرفين الصبيين ، سوف
يكونان يشكلان عنقواً ايجابياً في صهر شخصياتكم وإطلاق العنان
للإبداعكم وتفوقكم ، وفي فتح الآفاق لتجربة حياتية متميزة لكم .
ولديكم في هذا المجال نمو غير متوقفة للتشويق منكم ، ولوالدكم الفضل
الكبير في عنايةكم والعناية بكم وتوفير الامكانيات لكم وفتح آفاق أدبية
وتفكيرية أمامكم ، وهذا كله كنز هو الأوفر سوف تبدأون بالشوق بقيمته
بعد سنوات وسنوات .

وما أتحناه لكم ان نعلن الولد منكم ان يطلق العنان لشخصيته ،
وان يتأثر في ملهقة ميله الانشائي والإبداعي ، دون أي
عائق أو شعور بالخطر ، بل لكل منكم الحق كل الحق في إختيار
مسار حياتكم ، وفي فتح هويتكم ، وكلتي ثقة بالإنسان الذي
سوف تصنعونه من أنفسكم .

لذا أدري كيف سوف يكون المستقبل ، ولذا أدري بالتالي في
أي مجال سوف تبدعون — أعتقد أنكم جميعاً ، تقريباً ،
قد تحيطيم مرحلة تحلل أنفسكم كرجال وأطفال ! نعم لا يزال
براق حلم بأنه يكون أهل فضاء ، والله أعلم بما يمكن وما
سوف يكون . أذكر أن جمال وأبال كانا يكون سيارت

الإطفاؤ. وكم من مرة ذهبنا لعمدة الإطفاء للنظر عن كتب على
السيارات المحرقة، ليس نقف عند آثر نزلة المطر، بل هي في
الترج - غريبة هذه الصور التي تشد حبال الطفل في مطلع حياته
كذلك الحرفات الصغيرة العاطلة، أهداها في السبع هوانج وراه
معل الطوب التي كان جمال دائماً يحب ركوبها، وأعتقد أيضاً
أنني ذهبت معك يا أبا ل إلى تلك الحديقة، ولكننا بالأغلب
وجدنا هجرات صغيرة عاطلة أخرى على جوانب الطرق بركوبها.
قد لا يمكنكم تصور مدى سعادي حين كنت أكون معكم، نفسي
معا، وخاصة حين كنتم صغاراً قد تعلمتم المهني لتلك لتوكم،
جمال حين كنا لا نلنا في بيت سيدي في شارع نابلس، وأبا ل
حين انتقلنا إلى شارع ابن خلدون بجانب المأمونية... فلما نفسي
في شارع المأمونية، وشارع الزهراء، وآخيراً بجانب الأفر عند
دار الطفل. لا أقول إنني لم أذهب في بعض الأحيان - خاصة
عندما سكنا في البلدة القديمة، وكات البلدية تجري الحفريات
في الشارع، وكنا نغادر بالتالي أن نترك السيارة بعيداً، أحياناً
في باب الإسباط، ولكن أحياناً أيضاً عند باب السحرة، ثم
نحسب معاً، بالأغلب وأنا أهل أهدكم أو اثنين (مع براف)
في العمل :

أبعد أن كتبت البلدة القديمة في ذاكرتكم، وبينا هناك،

وبالنسبة لك يا جمال ، نطلبنا فإنت سحبت المرة الأولى نحو بيت
 في البيت لودت لثراء بعض الحدايات من الحانوت / الدكان في
 الشارع - طبعا كنت قبل ذلك نطلب خروج آهنا معك . وكان
 من الصعب لك ونحن في شارع ابن جلدون أن نخرج للدكان لودت ،
 بسبب بعد الدكان النسي . ولانزلت أذكر القنبطة التي اقباهتني
 عندما استعجيت ثققت لتنزل للدكان لأول مرة لودت ،
 وراحتك من النافذة في الغرفة الوسطى ، والتي كانت تطل على
 الشارع ، وأنت تخرج كالصاروخ ، ثم تربع - وبالطبع نكر الأول ،
 وتكرر مع أبنا آهنا - هل تذكر كيف كنا آهنا نغشي
 معاً في الصبح إلى المدرسة ، إما من داخل البلدة وإما من
 باب العמוד ، وكيف كنا نقفز (أي كنتم أنتم تقفزون) على
 الجذر المحاذي للرصيف ، ذهاباً وإياباً ؟
 وكان آهنا ما في البيت قربة للحوم ، وبعد أن تهدأ البلدة ، رالفور
 الأصغر المتبع على مأذنة مسجد باب الغوانفة في ساعات
 الليل ، ركم كنت صدياً في آهنا أصيات ، ولنا ، حين بار
 والدي للبيت ، وجلسنا معاً نأكل طعام الفطور في الساعة
 بعد أن سقنا كلادة القرآن وشم الأذان من مكبرات
 ذلح المسجد .

وهذا يا جبارق كان البيت الذي به نفوت نفوت الأول -

فلقد انتقلنا إليه مباشرة بعد ولادتك (ومناجيتنا المكثرة خارج
ناقدكم الذي أبقظنا في الليلة الأولى لوصولنا ، والذي بدا
وكأنه يصرخ داخل دارنا) ، وإليه بالطبع جاء لأذل مرة هديكم
ماكس ، وكلّم كان يحب أن ينصب إلى سطح الدار ، ويجلس على
مدّاه ، محلقاً في شطحة البلدة القديمة ، الجدران والنوافذ ،
والمآذن والكنايس . لقد جلب هذه العادة معه إلى أبي ديس ،
حيث كان يحب دائماً أن يجلس على حشبات المنزل الأمامية ،
محلق في الفضاء أمامه .

كانت للبلدة القديمة أجودها الروحية والسميّة ، ولكن وللأسف
فلقد كانت أيضاً لها أجواء مزعجة ، منها الضجيج والصوت ، ومنها
قواض السباح التي لا تهدأ . وفي ذات ليلة ، في أحد القنيتين
على ما أظن ، استيقظنا لتناهد ميرة المحجّاج الذين قرؤوا
بهدوء وهم يحلون المتاعل .. هكذا كانت البلدة ، مزيج من
السبع والهدوء الروحي والضجيج والنشالين وصخب
السبّارة الرهيبة ، فيها الروبوت الدليفة البتوشة والبائسة
للثقة ، وفيها الروبوت الشرسة البغيضة والمشيخة للقلق . وقد
تكون البلدة القديمة ، بجوانبها هذه المتناقضة ، محبباً للحياة نفسها ،
فبانت في الحياة أيضاً لا تلبث أن تدخل حارة ترمّح إليها نفسك
وتطمئن إذ تفاجأ برهبة البغيضة أو تلك ، وأنت جد

الشَّرَّ يَنْفِيعُ وَيَسُودُ فِي فَلَكَ صَلْبِ الْخَيْرِ ، ثُمَّ إِنَّكَ نَجَاءُ تَرَى
الْخَيْرَ فِي رُطْبِ يَفْعُهُ الشَّرُّ ، مِنْهُدَا مَدَاخِلُ فِي ذَاتِ ذَاتِ فِي هَذَا .
وَمِنْهُدَا أَنَّ لَا تَيَّاسَ أَبَدًا نِي أَكْثَرُ الْخَيْرِ وَالْوَعْدِ إِلَيْهِ ، وَ
لَا تَكْظِمُنِي أَبَدًا بَعْدَ أَنْ تَكْهَلُ عَلَيْهِ ، تَدْفِلُ كَنْفَهُ .

هَذِهِ الْحَيَاةُ . أَوْ هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا عَلَى مَا نَعْرِفُهَا . وَأَرِيدُ أَنْ تَلْجُؤَ لَكُمْ
نَفْسِي هُنَا ، وَمَنْ تَكُونُ هِيَ نَفْسِي الْوَحِيدَةُ أَوِ الْأَسْلَمِيَّةُ نَاسِمْ ،
وَهِيَ أَنْتُمْ مَهْمَا تَلْجُؤْتُمْ وَطَنْتُمْ بِعَظَمَتِكُمْ أَوْ عَقْلِكُمْ الْإِنْسَانِ ،
تَاوَرَكُوا فِي أَنْفُسِكُمْ بِجَالِ الْبَدَنِ وَالْمَوَاضِعِ ، نَبَاتِكُمْ لِي تَقُولُوا الْأَرْضُ
مَحْرُصًا أَوْ تَقْلَعُوا الْكِبَالَ طَوْلًا ، أَمَّا الْإِسْلَامُ ، عَلَى مَا آمَنْتُمْ بِهِ ، مِنْهُدَا
دَرْجَةُ أَرْتَى مِنْ ذَلِكَ ، وَهِيَ أَنَّ يَرْتَى الْإِنْسَانُ مِنْ تَوَاضُعِ الشَّرِّ
إِلَى السَّلَامِ بَعْدَ هُوَ أَكْظَمُ ، وَهَذِهِ مَنْزِلَةُ لَا يَنْفِيعُ الْإِنْسَانِ
أَنْ يَهْلُ إِلَيْهَا الْإِثْبَاتُ ، نَبَاتًا أَنْ تَهْلُ إِلَيْهَا وَإِنَّا أَنْ لَا تَهْلُوا ،
وَلَا يَنْفِيعُ أَهْدَانَا أَنْ يَهْدِي الْآخِرُ إِلَيْهَا ، وَأَمَّا الْمَنْزِلَةُ
الْأُولَى ، مِنْهُدَا مَا يَكُونُ تَدْفِلُ النَفْسِيَّةُ بِشَأْنِهَا ، أَيْ أَنَّ يَكُونُ
الْإِنْسَانُ قَادِرًا عَلَى مِنْهُمْ أَنْ يَجَالَ رُؤْيِيَهُ ، مَهْمَا تَلْجُؤَتْ ، قَدْ يَكُونُ بِجَانِبِ
مَحْدُودٍ لِلْفَايَةِ .

وَمَنْ كُنِيَ مِنْ ذَلِكَ ، نَبَاتًا لَا أَرِيدُ أَنْ تَقُولُوا هَذِهِ الْمَنْظُورَةُ
إِلَى مَخَاضَةِ نَفْسِيَّةٍ أَوْ دُنْيِيَّةٍ .

الاثنين صباحاً ، ثاني أيام رمضان

اليوم هو يوم الحلة ضد الذهب. قمر الرمي محمد صباح هذا اليوم
أما يظن قرآنه الآن ويستبدل الجرائد على النوف. السبب: بدأت
علامت العاصير بالظهور. هو يذخر الآن بأنه لا يستطيع من عدة
ولو صرور واحد. هنا العاصير تظهر على ما يبدو في ساعات الليل.

لم أر الكثير منها حتى الآن. ليلة أمس رأيت نقلاً صوريين
على ما أعتقد على الخزائن ، يتطلعون "الساعة" لتقرير كليات
الطعام المتناثرة والمتفرقة. كل مرة أرى فيها صروراً رجع في ذاكري
موراً للأمرينا ، لاشقة الثانية التي سكننا أنا والدكلم فيها بجانب
الجامعة ، قبل ولادتك يا جمال. أعتقد أن أمه تنجب انتقالنا من
تلك الشقة كان جموع الصرور في المطبخ.

أخبار سارة سمعناها صباح هذا اليوم. لقد قامت إدارة السجن
بتبليغ اثنين من الأموة ، ولها آباء النور وخلقور ، بأنه سون
يتم نقلهما خدأ إلى سجن الجلمة في الشمال (منطقة هيفا)
عسيدا لا أخراجهما إلى لبنان. وبينما يكون ثلاثة من الأموة
الذين ينتظرون الترحيل في هذا السجن قد أُرِجوا إلى بيوتهم وأطلق
سبيهم. هنالك حوالي ثمانية آخرون ينتظرون الترحيل بناءً على
السر. ظلت آهنا معظمهم مدة محكوميتهم - ومنهم من قضى
فصل سنوات - وكلهم الآن بانتظار ترتيبات الصليب الأحمر

لأفراجهم . لكن مشكلة الطبيب تبقى معه قد هذه الكلمة . أين
الذهاب ؟ وأي حكومة سوف تقبلهم ؟ كلهم يريدون الذهاب إلى
الجزائر ، حيث قواهم ، ولكن الأمر يتطلب وقتاً - خمسة جاز
تدوب الطبيب الأندلس قبل أيام للعبات معهم قال أهدم : فذوني
إلى أي مكان ، إلى كوبا أو تانزانيا ، فذوني إلى طائر أومشياً ،
أو على معار أخرج ، فذوني إلى جهنم ، ولكن أفروني من هنا . فقبل
له . لكن جهنم ليست لديها حكومة للنظر في طلبكم .
إنتي أرتي هالترهم ، فإن كل يوم يمر بعد قضاء الحكومة عن سنة
كاملة ، أي بمثابة عام كامل ، فالسجين يشعر بالإستياء والإطمان
نصاً يعرف متى تنتهي محكوميته . ولكنه حين يعيش جازلاً هكذا
يتعذب ويتعطي ، فهو لا يعرف ، هل سوف يقضي تسبوعاً آخر ،
أو شهر ، أو سنة ؟ ..

ولقد عانيت قليلاً من هذه الكلة النفسية يوم أخذت من البيت ،
مع إنتي كنت أعرف أن الأمر بالتحقق هو أمر إداري ، لكنني مع ذلك
كنت قلقاً ، هل حين هبطت في السيارة ، لإنتي ظلت أحب ألف
سابق ، وحينها وصلنا للمحكمة ، ارتدت بعفوية الشئ . لكن هذه المرأة
لم تدم حالاً دفعت ، وأخذوا مني الرأب ودرجات الخاء والسوء وودعة
السائر ، ثم أدخلوني لـ "البودود" ، وهناك جلست وهيأت في عرفة
قديمة ، لينة قدرة وإغما ليست نظيفة ، بأجل الوحيد موصد تماماً بلبتشار

نسخة صغيرة لا تعد نصف النسخة المربعة ، ضوؤها خافت ، صفها
عالم ، سريها من الباطون الحليم ، وللوصول اليها تدخل في درجة باهرها
الموصد كتاب التزنية ، وفي الدرجة نصف المساجين ، يهزأ وعرب ، وجميعهم
مدنيين ، أي منهم لا تجار الحشيش والمخدرات . . . وتجلس هناك دونه
أن تعرف ما هو الكبير ، وما هو صعب ، وبعثت في تلك الفترة بالذات ،
وفي كل مرة وأخرى تسمع الصياح والناغم ، وتعلمه من المدمنين ،
وتسبب الدقائق ، وتصدق مع ذفات القلب ، ولا تعرف الساعة بالضبط ،
فالكسوف الخافت يستمر على حاله ليل نهار ، وتستمر الفلق بعدما آفقت
من النوم ، وانتظرت المصباحي فلم يأت ، واستمرت الساعات ، هي
بعد الظهر ، وهناك عرفت منه الوضع ، وبأنني سوف أنزل ذمت المساء
إلى سجن الرحلة ، فارتحت نفسيًا لادتي عرفت الآن ما هو مسار
الأمر ، وطالما استمرت هذه الحالة النفسية فلم تبدو معاملة الشرطة
السيئة مزعومة لذلك الحد . وبعثت الله التي كنت في تلك الفترة
أفعل معي نسخة صغيرة من القرآن الكريم ، وكتابك يا جمال ،
وتلاصها مكمل للأخر ، فإن أطمعت نفسي بعد بعد مرة بعد الآيات
تسطفت بعدها أنا أنزل الدقائق براءة تلك الفترة الخيالية
ولا أعرف السبب ، إلا أنني رجعت مرة بعد الأخرى لقراءة تلك
السورة القصيرة (سورة التمع) : بسم الله الرحمن الرحيم ، ألم
نشج لك صدرات ، ورفعنا غلت ودرت ، الذي أقتفى ظهرك ،
ورفعنا لك فركت ، فإن مع العرسير ، إن مع العسر يسرا ،

فإذا فرغت من الطلب ، وإلى ربك فارغب ، صمد الله العظيم .

ولقد بقي الوقت قصيرا سوف تسألون أنفسكم : لماذا اهتمت أ.ي. ؟

وحاذا فعل ؟ والرد على ذلك بسيط ، فإنهم يقتفلون عشرات الآلاف ،

بل كانت هناك أكثر من نصف مليون حالة امتقالية منذ آل ٦٧ .

وخلال الانتفاضة ، كما نعرفون ، ارتفعت نسبة الامتقالات ، والكثير

منها امتقالات إدارية ، أي بدونه محكمة ، ويفعلون ذلك كي لا

يتدخل في المحاكمات من جهة ، وكوسيلة مدعية للرب الانتفاضة من

جهة ثانية ، ولقد كنت ومازلت على قائلتهم ، يودون لو يصحون

رهن الامتقال ، ويخشون من مردة النفل الدولية ، ويخشون منها

لأنه من الصعب بكماله إقناع الرأي العام الغربي بأنني أمارس

الإرهاب ، أو أنني متعصب بالترابي ، بل يعرف الرأي العام الغربي ،

كما يعرفون هم أنفسهم ، بأنني دوماً كنت مع الإحتلال ، ومع

الخصائص ، ومع السلام ، ولكنني وإذا كنت كذلك فإنني كنت

مع الحقوق والإسلام ، بل ما أنادي به ، وأؤمن بضرورة تحقيقه ،

هو الحل المتكافئ الذي يحفظ الكرامة للإنسان ، والذي من شأنه

أن يخدم مصلحة الإنسانية ، وليس مصلحة أي من الأطراف على حساب

الأخر . هكذا رأيي ، وهكذا آتيت ، وأهاضر ، وأعمل ،

وأنادي ، فكيف بهم إذا وصفتوني في السجن ، كجند من جعلتهم

لتمع الانتفاضة أو أهملتها ؟ فجاءت حرب الخليم ، وجاء معها

المكبر والغطاء ، فهم تحت حماية عدوى الغرب للموت يمكنهم
أن يوجهوا خبرتهم لي ، وهكذا فعلوا ، حين ارتفعوا بالتبعية
لصالح العراق ، وأنتم قمرتون ، وهم يعرضون ، هرب هذا الإدعاء
بل بلغ منهم الكذب ان قام أحد المسؤولين عندهم في وزارة الدفاع
بالإدعاء انني لم أعمل وحيداً ، بل كنت أشرف على حلقة تجسس ،
و ادعى حاكم وزير خارجيتهم نسياناً هو ، انهم الآن يفعلون
في التحقيق مع أفراد آفرك في نفس الحلقة ، هكذا بلغت
وقاهتهم ، وعقدتهم ، وضعفيتهم ، أو قل بعضهم ، لكن الكنا
يعلم ولا يعلم عليه ، دسسان ما تبددت ادعاءاتهم . وتبين
زيفها . إذ تبين ان لا أحد ممن ادعى اللقاء القبيح عليه
كان لديه أدنى علاقة بهي ، كما تبين ان من السفارة بكان
تفسير الصلاحيات بانها ربح على انما هبهم من عملية تجسس .
ومع ذلك ، انها قد انتشرت تلك الحمى ، ولها آنا لازلت
في السجن ، مما يدل على نيتهم الحقيقية ، وهي انزال العقوبة
بي بسبب الانتفاضة ، وبسبب علاقتي بها ، وهذه العلاقة ،
كما أقول ، ليست علاقة فرد ، بل هي علاقة شعب بأكمله ،
وهم في عيهم للقضاء عليها يسعون نهج انزال العقوبة
بالشعب بأكمله .

لكن نمر الله قريب ، وسننال شعبنا حريته وتحقيق استقلاله ،

وإن كنا اليوم آرم بالآسى قدنع ثمناً لذلك ، فلكي لا تفطرون
أنتم ، أو أبناءكم ، أن تعانيوا نفس المعاناة ، ولكي تصنعون
أنتم ، أو أبناءكم ، أن يستشفوا الحمية ، ويعوا للفقير
السعة والإزدهار ، ويطلق الفنان لهم ولكم لكي تغنوا
تاريخ الحضارة والإنسان بأبداءكم وإتباعكم .

والسجن ، على أية حال ، ليس مكاناً مديناً . يقول الأسير لمعظمهم ،
السجن للرجال . وفي ذلك اليوم الذي رحلت فيه من القدس بعد
المحاكمة ، وبينما وصفت أنا ومجموعة كبيرة من الشباب في
سيارة ألبوستره لندخلنا السجن الرملة ، طلبت قبالة بعض
الشباب الذين لم تتعدى أعمارهم الثلاثة عشر ، ويحسونهم
بالاستبدال لبعض سنهم ، وجميعهم كانوا في طريقهم
عبد الرملة لهذا السجن أو ذاك ، وكل منهم كان محكوماً
لفرة أو أخرى - لضجة شهيرة ، أو موالى سنة ، أو أكثر
بقليل في سنة - تبرهم متعددة ولكنها متشابهة - إلقاء
الحبيسة ، كتابة الصغار على الجدران ، المولدوف . وما
لذلك المقننات العالية لديهم ، إذ تجلسوا معاً ويحكون
ويتفكرون ، بل ويحدثون التنظيم الوطني ، كل
ذلك في سيارة البوستر الحليئة أحياناً بالأسرى

اليهم د المدنيين ، و بمرسى السطح في الخلف ، و عندما سألهم
ما اذا كانوا يحبون اديريجون السجون المسلمين إليها قالوا بشفة
دايمان وموة ، ما هي إلا فترة محتم ، سوف نكن معاً ، ونعيش
سوية . و قال لي أحد الأسرى الأكبر سناً ، ان الأستبال
يوضعون معاً في نفس الغرفة ، و انهم بالتالي يملكون أوقاتهم
بشكل مريح .

و السجن هنا كذلك . و الواضح ان السجن حالة نفسية أكثر
منها جسدية . بالطبع ضاقت بمؤقت كثيرة - مثلك في حالنا
نحن إثنين مضطرون المحكمت في غرفتنا هذه الصغيرة (٣٠ ساعة
من ٤٠ في اليوم) (بجانبنا ساعة الفورة ، و الزيارات) .
و معظم الأمور التي تشقيها آتينا عنده متوقفة ، هي المحامي
في هدية ، أو التكلّم مع الأصدقاء ، أو الأهل ، و لكن مع
ذلك فيمكن التناقص مع هذا الوضع بسهولة نسبية ، فعلاً
هناك الفتيلة التي تحصل من وراء الحجاب و المارلبينا ، وهي
تساعدني إدخال تغيير ما على طعم الطعام الذي يجلبونه ، و هناك
الحوذي ، والذي يمكن جعل العليز منه ، و هناك الحليب ،
و الذي يمكن عمل اللبن منه ، و الحوزة و البرتقال و اللبونات أحياناً ،
و منه عسير التناقص ، و لكن أهنى ما في الأمر بالطبع التلفزيون
و الراديو و المائدة و هذا المحمل التي تستمع إليه و أنا أكتب

اليوم (موسيقى الماد لها نذل) - لم يكن الأمر كذلك في السجون في
السابق ، بل كل أمر في هذه الأمور التي ذكرتها إنما كانت إنجازاً
حققه السجناء عبر ٣٠ عاماً من النضال .

قد تستغربون منه سماعكم لذلك . فقد تعتقدونه أنه الأسير
يناضل حتى يتم تحرره ، وهو في الأسر إنما يحظى مدة محبوسه .
لكن الأمر ليس كذلك إطلاقاً ، فالنضال متواصل ، وإن كان
يختلف في السجن عنه في الخارج . فالمناضل داخل السجن يناضل
من أجل تحسين أحواله ، من أجل الصابون ، والفدرة ، والمجريدة ،
والكتب ، والزيارة ، والسجارة ، والعدد ، والطعام .
(العدد هو القبيل الذي يقوم به يومياً ضباط السجن ٣٠ أدم
أوره مرت للثأك من أن السجناء على حالهم ، أي لم يقوموا
بما يجب أن عاشابه ، وكلم من نضال وإقرب غاضه السجناء
مول العدد ، هل يقفون للنضال أم لا ، هل يفعلون ذلك كل
مرة أم لا ، هل يرضون بأن ينفوا رؤوسهم أم لا ...) ، وأنتم
إن أردتم يمكنكم السعدت من هذا الموضوع مع ابن عمي وعلم سليم ،
الذي رفض ١٦ عاماً في السجن ، والذي خاض أكثر من
إضراب وأكثر من مؤهبة مع سلطات السجن ، والذي فقد
أهده مائة ، أو البعده منهم . أولئك الذين استشهدوا وهم
يوضون شعار المؤهبة مع سلطات السجن ، فقط محفده

فقالوا كيف ان هذه الامم التي ولدتها آنا نحن دفنوا الحجة
وسوت بوجوهها، انما جاهدوا واشتهدوا وناضلوا
القطريون في اهلها... نعم وهذا آتينا قد القطريين
ان ما يلبث ترك ساحة واحدة للقتال ^{لقد} ~~لقد~~ يخون ساحة
عنها، كان القتال مستمر، والامم معدومة، والواجب يلتم
ويدفع بالقطريين دفعا للاستمرار، اينما وجه نفسه،
وصولاً للحقيق غايته في الحرية.

و لكن وكما كنت أقول ، فالسجن آلياً حالة نفسية ، بمعنى
إن الإنسان قادر على التألم منه ، بل ووصول درجة الرأفة
النفسية . وأنا أحاول مثلاً اعتبار هذه الفترة فترة راحة
ونقاهة ، إذ يمكنني التعداد في القوائم ساعات طوال ، ولست
ملزماً للرد على مكالمات التليفون ، أو ملائمة مشاكل الناس ،
أو استقبال الزوار ، أو الذهاب لزيارة الأصدقاء والمعارف ،
ولست ملزماً بحضور الاجتماعات ، ويطبخنا الطعام إلخ ونحوها ،
وكاننا في فندق مع Room service — تلفزيون ، حمام ، !!
وما أنا أحاول القراءة والإستماع للموسيقى ومشاهدة
أفلام التلفزيون ، وقراءة الجرائد كنتيجة لبعض الحفلات
أو الملاحظات .. وكل ذلك أمر مهم لكن منعنا من السلام
به وأنا في الخرج . وفي ساعات الفترة أحاول

مشاركة الإملاء في لعب كرة القدم ، وهذه رياضة بدنية جيدة ،
لم آتني أسوم بها وأنا في الخارج .
لذا كنت ، لو كان الوضع مختلفاً ، أي لو كنت محكوماً لعدة سنوات ،
فأظن أنني كنت سوف آبه هذا الوضع صعباً . ولكن في العادة حين
تتم المحاكاة يتم إرسال السجنين على أي حال إلى أمة السجن
الحرورية ، حيث يتمكن الإنسان من في لفة السجناء الآخرين ،
وهذا نجد الآراء مليئة بالمشكلات المختلفة كالإبتهامات
والنقاشات والمجبات التنظيمية ، إلى ما شابه كل
ذلك .

نعم في مهمة توضيح القول . كما قال آدهم للاستبدال ذلك
الحمار في سيارة البوصة ، ان السجن للرجال . ولكن
صحيح أيضاً ، كما سألني آدهم المناضلين كتابه
"سجن ليس لنا" ، فالسجن ليس للإنسان المناضل
الترقي ، ليس للإنسان الذي يناضل من أجل مقود سيكس
سجته . لسارني والمجهزين والعقلة ولتبار المعذرات
والأسلمة وللتبريرين ، نعم ، ولكن ليس للطالب والتاجر
و العامل والعدام والام والذين يمشون معاً طالبين
نيل هويتهم .

كما قلت سابقاً ، فالغرفة صغيرة ولكن يمكن إهتمامها . و الغرف الصغيرة
تذكرني بتلك الغرف التي كنت بها أثناء حياتي الطلابية ، مرة في أكسفورد ،
ومرة في لندن ، وأيضاً في لغزة . بل تذكرني الحياة هنا ، إلى هذا ما بالمدسة
التي قضيت وقتاً فيها - رغبني . لا أعرف إن كنتم ترميرون الذهاب هكذا
حديثة . ولا شك في أن البعض سوف يذهب إليها يرغبها ويستفيد
منها . فمعلم زكي مثلك تأقلم معها واستفاد منها بل وبعض أصدقائه اليوم
في لندن إنما بدأت صداقة بهم فيها . وأعتقد إن استفاد آخرون
الداسة فيها ، وتعلم بعض اللغات ، منها الروسية على ما أعتقد .
وقد أذكر أنه في وقتي كان هناك بعض الطلبة أليفين الذين يلعبون
الآلات الموسيقية - أذكر أنهم ، ولهم دينار - موسيقيين .
والذي كان يلعب على البيانو على ما أعتقد ، أو واحدة من تلك
الآلات الكبيرة . وكنت أعرفه لأنه كان معي أحياناً في الصف ، ثم
وعدته فيما بعد في أكسفورد ، في نفس كلية كرايست شيرش التي
ذهبت إليها . لم أكن صديقاً له ، بل أعتقد إنني كنت أزدريه
سبب ما أود أن أفهم - يمكن بسبب الضيق !! إذ إنه كان هيباً
في الصف ، فضلاً عن الموسيقى . أما أنا ، فلم أكن جيداً في
أي منهما . نعم قد أنا عارلت نزهي مع الموسيقى . فقد فضحت
لتعلم البيانو (وأظنك يا أبا ل قد سبقته بمهارات
مطلحة حتى هيئ بدأت في اللعب على البيانو) . ذهبت بعض

المات لعلت الغف (الصغرة آفياً) والتي موجه بيانها كل منها ،
ولكنني لا أذكر أنني لمعت شيئاً من الحشد ، بل أنني هي لا أذكر
ذلك الحشد .

الواقع لا أذكر كثيراً من تلك الحشود ، ومثلت مثلاً تاماً بالتألم
عنها . كنا ننام جميعاً في قاعات واسعة . وكانه أهدم بناحي
الجهة الشامية أو الثلثة ماء ليطن ضوء القاعة . ثم كانوا
يأتون ليصحبونا في ساعات مبكرة ، وكنا نقف للفتن الفرائس ،
وترتيبها ، ودرج البقنا - لا أعتقد أنني تعلمت كيف أربط
القبة على العقب - بل لا أدري لماذا اختاروا أن يكون
العقب هكذا بقطعتين ، ناهيت عن ربطه العقب السود ، والذو
الأسود ، ثم كنا نجري لقاعة الأكل ، ومنها إلى الصفوف ، ثم عودة
لقاعة الغذاء . وفي أوقات بعد الظهر كان لدينا بعض الفراغ ، وهذه
هو الوقت الوحيد الذي كنت فيه ألتقط أنفاسي ، إذ كان كل منا
سبه مخمفة مسمى مكتب ، لم تكن أكبر من مربعين أو من مربع ونصف
مربع ، وكان يسمح لنا بالذهاب إليها فقط في فترات بعد الظهر
للداسة ، حين لم تكن هناك ألعاب رياضية . وأذكر أنه
ما فيها ناقذتها ، المظلة على الحقول الحقلية الفضية ، وأريبتها ،
حيث كنت أشتلي للراحة والتفكير ، وللاستماع للموسيقى ، وتعرفت
هناك على بوب ديلاي والولنج ستونز ، وغيرهم . وهناك

كنت أعد لجميع الفصول كذا ، أنتظر انتزاعها ، أد تلك الأيام فيها
التي كان يسمع لنا صفادة المدرسة لفضاء ليلة أو ليلتين عند أهلنا .
وكما تعلمون ، فلقد كان سيدو في ذلك الوقت صغيراً في لندن ،
وكان لدي آلياً بعض الأصدقاء من مدرسة الحضان ، فكنت أَسْوَ
دائماً لانتزاع نفسي من هؤلاء تلك المدرسة ، والذهاب إلى لندن ، حيث
بهودتني الحياة ، أي حياة المدينة العاصفة ، بمشائرها وباهتمامها و
مقاهيرها وأذيتها وأبنيتها ومذئقتها ، وحيث كان يملكني الشعور
بالحرية العامة ، وكيف أصفه لكم ، هذا الشعور ، إنه الشعور
القائم بالذات ومدها ، ذلك الشعور الذي كان بالإمكان لي في
المدرسة أن أقتنصه فقط عند ما كنت أجلس وهدياً في المكتب ،
وليس بالإمكان الذهاب به إلى خارج المكتب ، في أروثة المدرسة
وبين الطلبة والأساتذة ، يكون الإنسان مضطراً حينها لأن يتعلم
الثوب الاجتماعي ، ثوب المعاملة الخائفة ، ويكون الإنسان هذفاً
اجتماعياً معروفاً ، لا يمكنه أن يقف ، أو أن يجلس ، أو أن
يمدق هنا أو هناك ، بدونه خوف أن يكون هناك من يعارفه
من ينظر إليه ، وياسبه كالمسكوت قد يقترن تحيز لا ثقاً لعن
في مكانته . أما في لندن ، فذهبت هدية الحوكة ، ولسطعت
أن أنقل ذاتي معي إلى خارج الغرفة المغلقة ، غمرة المدرسة ونصف
ربيع ، وأن آخذها إلى التوابع ، فاستمتع بمتعة العالم

الخاصي ، مهما كانت أشكاله المتغيرة ، وأن أقف عندها ، في وقتي
الخاصي ، وأقول "وقتي الخاصي" لا يعني كنت أشعر بحاجة للوقت ، أي كنت
بحاجة ، في معنى الأمانة ، لوقت لا يلجأ به فقه لاستيعاب مشهد ما ،
أي للتفكير به ، ولتحليله ، ولوضع بعض التخييلات لعقلي عنه - وهذه
أمر كلها لم أكن أتمكن من فعلها في هذه المدرسة المنظم ، والمبرمج ،
والمشدد ، ولذلك فكنت لا أستطيع لاستيعاب أهداف المدرسة
من هوئي ، مهما حاولت أن أنتزع نفسي من الحدث وأن أراقبه
ليس كجزء منه ، بل كمشاهد يحاول أن يفهمه .

لا أعتقد أنني كنت بطيء التفكير كما يقولون ، مع أنني كنت
(ولا زلت إلى حد كبير في بعض الأمور) بطيء التفكير بعض الشيء ،
أي بمعنى اضطراري لامتصاص أو لاستيعاب أكثر إلى درجة
المكافأة ، أو الفهم ، وأعتقد أن الناس هكذا يختلفون عن
بعضهم البعض ، فمنهم من يغوص فوراً في الجو ، ويستمتع به ،
ويبدع فيه ، ومنهم من يحتاج للتخليق فوقه - وهذا الأخير
بالقدرة يصح بالعزلة والغربة عنه ، كما وأنه لا يستطيع
المشاركة به أو في هيئته ، وهو يترجم في التخليق إلى أن
تتبلور طريقته الخاصة بالمشاركة .

وقد تنظرون إلى أنفسكم ، ثم تقولون أي نوع من النوعين أنتم ،
والمعتقد الأولي (وإن كنت لا تستطيع المبرم) أن جعل

وبرق من النوع الغواص ، وأن آبال من النوع الممعلق إجماع على
كل حال ، أرى أن تدعوا لهذه الفترة ، عندما تكونوا أنتم قد
وصلتم سن الأربعين ، أو ما يقاربها ، وأن تفكروا عندها ، من خلال
تقديركم لما كنتم قد قمتم بعمله في ذلك الوقت ، ما إن كان
وصفي معقولاً ، إن كان يجعل عام ، أو يجعل يخصم .

قد تظنون هذا أمراً غريباً ، أي أن تصورا أنكم في سن
الأربعين ، والواقع أنه قد يكون مستحيلاً ، لكنني لا أريدكم
الآن أن تصورا ذلك . أريدكم أن تدعوا لهذه الكلمات
وأن تقرأوها عندما تسيرون في ذلك السن .

لكن التقو فعلاً أمر غريب . فما أنت يا جمال ، من ذلك الكولود
الذي مضته في صدري على ذلك الكرسي المتهتز في مستشفى النساء
في بوسطن ، والذي جعلته يستفرغ أدل مرة حاول أهدنا وضع
الكاظمة على وسطه (فقد رفعت رجلتي صاعدة لم تنطب هجم
مبكت ، مما جعلت تستفرغ الكليب الذي رضعته من أمك
على سري المستشف) وما أنا آه بذكر لك على كيسي من النايلون
فوق الثلج الذي كان يغلي الشوارع في أول فصل شتاء
في حياتك ، وما أنت تمدق بالفتلة ، وتلفظ لحنها ، وتنفق
كلمة "صو" ، وكانت صانعة اللحنان أدل تالفت ، وما
أنت اليوم ، تقرأ "على طريق الخداع" ، وترنو نظراتك

إلى الحبلى الآخر، وتخطى الساعات الوطنية، وها أنت يا أبال،
من طفل آهضه وأهمله، ومن ذلك المولود الذي أبى أن يدخل
الحياة إلا "مفرواً" عليها (ولذلك أذكر وبه الدكتور جاني
وهو معك برجليك معلقاً في الهواء وبيننا على مولد
فأذبت تغطي وبه الضامك بفرونتك، فلم يعه إلا
الاستمرار بالضمك)، وها أنت اليوم، تلبس بأناقة عندما
تقر ذلك، وتلعب البمانو، وتبحث عن مكانك، وما أصعب
أن تكون الولد الثاني، وأنا يكون جمال أخاك الأكبر، ولكنني
لكي ثقة بأن تحليقتك سوف يعقدت إلى مكانك المخطط، ويجب
عليك أن تذكر أن جمال، وإن كان أخاك الأكبر ومميز عنك
في أنه يخشع الزمن والتجربة والحياة أمامك (لنصف الوقت)،
إذ إن الأمور تتكرر بعد سن معينة)، فهو ينقصه ذلك
الدلال من والديه الذي يجب دوماً نحو الأصغر، فإن كنت
أنت تعاني لكونك الثاني، فهو أليفاً يعاني لكونه الأكبر.
وأنت يا بريق، لا أظنك تذكر نفسك وأنت طفل بين
يدين هذات، يبحث على هضنه، وينام تحتك، وهو أو
لم يفعل قط مع أي من أولاده، فبدأ بجمال وشم أبال،
ولكنه لما أتى وقتك فكان قد تأقلم لخدمة الأطفال،
بل ولعكهم وعلمهم، وها أنت تتسو وتكبر، وإن

كنت تحاول الظاهر دائماً بأنك أصغر من سنك ، فباللذات
الذي تبتز من والديك ، وأظنك اليوم يا برف قد نما
هيكلك عن ثوب ذلك السماع ، تلك السفهاء التي اشتريتها
يوماً لك .

ولدي بكل فكم احتذر خاص ، أما جمال ، فإني أشعر بذبذب نحو
مفهوم ماكن . وأرجو أن تأتي يوماً ما لهذه الكارث الذي
وقع معه . أما أنت يا أبال فإني آخذ لك عن ذلك
الكارث الذي وقع معك في فرنسا ، حين وقعت من تلك المركبة
المتزلقة ، فلم أتعامل مع ألمك بالكبدية الكافية ، ويا برف ،
فإني آخذ لك عن ذلك الكارث على الدراجة ، حين كنت
تركب خلفي ، فلتبكت بك بالعبث الكليلي ، ولانزال صرخت
من الألم يتن في أذني . أرجو أن تأتي على هذه الأحداث ،
وبالطبع على غيرها ، ولكنني حمة على نفسي ، آبه
أخطائي هنا نحوكم جميعاً (نسبياً بالطبع ، والحمد لله) ونسأل
الله أن لا أرتكب أخطاء أخرى معكم أو نحوكم في المستقبل .

أرجو أن تفضل أيام طفولكم معاً في ذكرياتكم ، فالذكريات
تدفع القلوب ، وتذكركم لبعضكم البعض ، هي لو كان بعضها
للأمت موبقة ، فإني مثلك لازلت أذكك كيف كنت وأهوني

يوماً ما نزلني منصرفاً من هضبة فتدريجاً أهدنا، وأظنه يوماً منيرة
أو زكي، فتطبني أسهم، ونزلت الدمار، واهتزت الأكلاب،
لكنها ذكرى آتياً لوقت قصير سوية مع أخوتي، مع ابنتي أنسى
مكان الهضبة - قد تكون في منطقة رام الله أو النبي صوفيل - وأنسى
السنة، ولكن أذكر مثلاً أن سيارة والدي كان عليها طائفة
أو شغل طائفة في المقدمة، وأظنها كانت سيارة أوّل - وأظن
الحدث كان في الكفريات، معاينياً ابنتي كنت حوالي الخامسة
أو السادسة من العمر، ولكنني أذكر، أو أعتقد ابنتي أذكر،
إننا بينما رجعنا مع والدي من تلك المنطقة، وهرعت هي إلى
داخل البيت للاعتناء برئيس منيرة على ما أعتقد، قام ابن عمي
محمد بالقتال مع زكي على ما أعتقد، ودفع أحدهما الآخر،
فجاءت ~~معه~~ وفرة رأسه بجوز تلك الطائفة على مقدمة

السيارة - ذاكرة خريبة، ألا تعتقدون ؟ !

وفي تلك الأيام، كما أني سأعمله ^{أعني للعشاء} للكلمة حين تطبني أسهم
وتسبب الدمار فيها بالنزولين تغطيتها بالنبي، ولما نزلت أذكر
يوماً ما في صغري حين ضمت من البيت إلى عيادة الدكتور في
حينه بجانب باب الدمار (وأظنه كان الدكتور رشيد النطشيني، الذي
توقف بعد فترة من ممارسة مهنة الطب، وانزلت بإدارة أعمال
النداء أو أنهم تبنوا كبيراً، وأرسل إبنه فيما بعد، إلى نفس

ودرسه رغبتي التي ذهبت إليها !! ولها الآن في القدس أدها يعمل
ألفاً في إدارة الفنادق التي يملكونها ، والآل مهندس يعمل حالياً
في إنشاءات جامعة بهزيت) حيث تلك المسافة ، ودخلت
العبادة ، ورأسي ملئ بالبن الخضوج بالدم ، وأذكر حينها ردة
فعل الطبيب واستغرابه لهذه المادة الطبية الجديدة .
والعناية الطبية اليوم بالطبع أفضل نسبياً .

ولكنني لا أستطيع أن أستجمع ذكريات كثيرة عن الماضي ، وأنا في مثل
سنتكم . أذكر الذهاب في سحرة آد اثنتين مع والدي ،
فكانت إحدىها بجانب جبل القنفل ، والآخرى على طريق عمان
الخرقاء ، وأذكر مقامع هنا وهناك ، كيوم كانت فيه والدي
سوق السيارة في فصل الربيع ، فتوقفنا على حافة الدارين ،
وفرننا جميعاً لتجميع بعض الأزهار الربيعية من الالذاب ،
كما ولدي بعض الذكريات عن الفصيل والمزرعة في الكرامة ، ولكنني
كنت قد كبرت في حينها ولم أجد ذلك الولد اللعز .
وأنا أريدكم أن تذكروا اللحظات جميعها التي قليناها معاً ،
حينما أخذنا السيارة الجيب على مقع الالذاب والكيل العميقة
بالقدس ، وحينما كنا نذهب إلى بحيرة صبرية و ننام في الكفحة
على ضفاف البحيرة ، أو حين كنا نذهب لدمك الشاطئ قرب
حكيت ب تنب هيف ، أظننا ننام في الكفحة ، وتلك المشاور

إلى الصوفا الفوقاء ، وإلى ديار جبل الكرمل ، وآرو يا آبال
ويا بان أن تذكرنا تلك الكرة حين كنت أنت يا جمال في رملتك الحرسية
إلى فرسا ، فنحن إلى جبل السبع ، وصلنا إلى القمة على الكفاح
المتوكل ، وأن تذكرنا شطحاتنا إلى حين السخنة ، وكيف كنتم
تقفزون من تلك الصخرة العالية إلى وسط المياه ، وأن تذكرنا
رحلتنا إلى كمان ، وإلى العقبة ، وذلك في ألقان المشهور الذي
كان لدينا - وباليها من أياك جميلة قضيناها برفقة هذا القان ،
أولا حين جئنا من بريطانيا إلى فرسا ، ثانياً فيو فوسلينا
فاليونان ، حيث ركبتم الطائرة فالتين إلى البلاد عبر قبرص ،
وتم حين ذهبنا من هناك إلى العراق (هل تذكرن أننا قلنا
لعلنا الذوك في الصوفا بجانب تلك المنطقة الـ 3 الـ 2
التي منها أطلق صدم صورتيه فوكل زيب) ، ولعلنا في بغداد ،
ولعلنا شمالاً ، عبر السارون وعندها ، حتى وصلنا زالكو
عند الحدود العثمانية التركية ، ومنها شمالاً وشرقاً ، هل
تذكرن أنهار تركيا الجميلة ، وجبالها ، وسهولها الخضراء ، وبحيرة
قمان ، والمطاعم ، وهكذا ، على أطراف تركيا ، وسنابل
ومناخها (هل تذكره سيف النبي صلى الله عليه وسلم ، والدروع ،
وعندها) ، وحصان لمرودة !! وعندها الكثير ؛
وتلغى الوهي أننا لم نتكن من زيارة البلدة العربية بجوارنا

بالشمال الذي كنت آهـب . قلعة كنت أدو لو قضا بزيارة على
والدوام وعلوان ، خاصة عندما كنت هجتي أنا على مية الحياة .
و كنت أدو لو كان بالإمكان لنا زيارة سوريا ولبنان ...
بكن الأوضاع السيئة المستولبة كمنعنا من ذلك .

في الغيرة اليوم تحدثت مع بعض الأهوة عن المدنين على المحمدات
الموهرين في السجون ، فانتقل بنا الحديث إلى ضرايح الكوكابين
في منطقة بعلبك في لبنان ، تم تحدثنا على عن تلك المناطق
الخلابة في لبنان ، من ممرها في قمم الكيال ، ومن مطاعمها وطعامها ،
وصحى ومن بحرها وآنها ها . وكلم كنت أتقن لو كان اللفح
صنات حادثا وطبيعا ، وكانت لعدد مفقودة ، كما كانت قبل
عام ٨٠٠ . وكنا بالتالي قادرين بسهولة على الذهاب
بسيارتنا إلى بيروت ، وإلى بقية المناطق . كنت ولازلت أدو
أن آزر معكم هذه الأحداث والجماع الجميلة والتاريخية في
بلادنا الواسعة ، وآرجو أن يتحقق الحلم وأن نستطيع أن
نفعل ذلك بأهمشان .

وبالطبع ، فأتى آرجو أديا أن تبقى ذرايات رهلانا المستقلة
معاً في أوروبا معكم - كذلك الرحلة السريعة التي قمنا بها
إلى مدريد وبنيف وشن في فرنسا - أد كطقت الكوة التي
ذهبنا فيها مسياً من البيت في سينيلاد وبعد الحول ثم على حازاء

الشارع باتجاه سان فلور ، ولا أذكر بم كيلو صراً قطعنا أو كم ساعده
استغرق سيرنا قبل أن نحقق علينا هذه السيارات المأثورة . وكم من
الغريب إن لم نكف لنا سيرة لتأخذنا قبل ذلك - أحمده بما جعل
إن فنظرت ولبتك كان مبعثاً للخوف والذعر !!
وصل تذكره ما أجعل تلك " الغامرة " في النهر على " الكايوكا - أذا
ما شقي ؟ وكيف ففت بك الموج يا أبا ل في تلك المياه المتدفقة
نبوءات بالسباحة في ظلم الأمواج الثائرة ، وكم ففت حينها أن يلقي
عكك السيارات الهاتم على هذه الصناعات ، ولكن الله لطف ، وتجلت
عنها شجاعتك وتصميمك وإرادتك ، وفهبت من تلك الغامرة
سائلاً ؛

و أكثر ذكرياتنا معاً في تلك الرحلات ، في منطقة البحيرات في شمال إنجلترا
أو في لندن أو في في اليونان ، بالنسبة لك يا بركي فإني لا أنسى
تأدراً على تذكر تلك الرحلة الأولى في ألقان والين انشرفت
عند مضمار آف ليلة معاً في ذلك المقيم الغريب من آيتنا ، فقد
كنت صغيراً جداً ، وكم أمتست بالمحزن والوحدة حينما وكبتهم
الباص في اليوم التالي فبحرين إلى المطار - لم يني بالامكان لكم
عيسى أنا فتابعه في الرحلة عبر سوريا والاردن . ولهذا ما نعلم
أخذاً بالنظر مشكلات الحدود في الدول العربية ودول الشرق الأوسط .
ولكنك يا بركي سن تذكر بدوه شك محرم إنياءك من

وَضَعْتُ وَضَعْتُ مَعَنَا آتَاكَ وَالْمَلِكُ فِي الْعَارِبِ الشَّامِيِّ ، إِذْ
كُنْتُ أَتَى إِلَيْكَ وَأَقْدَلُ فِي نَفْسِي ، الْآنَ تَبْكُمُ بِرَأْسِ مَع
نَفْسٍ فَمَثَلًا : كَمَاذَا وَضَعُونِي مَعَهُمْ فِي هَذِهِ الْمَلِكَةِ ، وَهُمْ لَا
يَعْرِفُونَ الْمَلِكَةَ جَيِّدًا ، وَلَكَاذًا عَلَيَّ أَنْ أَجِبَ صِنًا بِأَنْتَظَرُ
وَمَوْجِ الْعَارِبِ فِي الْبَحْرِ ، وَانْقِلَابِهِ عَلَيْنَا ، كَمَاذَا لَا يَكُونُ
الْعَوَارِبُ الصَّغِيرَةُ زَاتِ الْخُجُفِ ، أَوْ يَدْعُونِي لَوْ هِيَ أَقْصَى
ذَلِكَ ، إِنْ كَانَ الْوَارِثُ يَدْعُوهُ ظَلَمَ أَنْفُسَهُمْ ، نَحْمَاذًا يَضَعُونِي
مَعَهُمْ فَتَا كُونَ حَذَنًا لِهَذَا الْقَلَمِ ؟
لَمْ يَكُنْ لَدَيْكَ تَعَةِ بِأَرْقَ ، إِمْلَاقًا بِمَقْدَرَةِ وَالْمَلِكِ الْعِلَاقَةِ ،
وَبِالطَّبْعِ فَانْتَ عَلَى هُوَ ، وَإِسْلَاطُكَ بِالْكَوْفِ لَمْ يَنْتَافِ
كَتِيرًا مِمَّنْ إِسْلَاطُكَ نَحْنُ ، وَالْفَرْقُ بَيْنَنَا أَنَّهُ مُضَلَّأً مِمَّنْ
إِسْلَاطُكَ بِالْكَوْفِ كُنَّا أَهْلًا نَشْعُرُ بِالْإِثَارَةِ إِذَا هُوَ هَذِهِ
الْبَحْرِيَّةُ الْكَبِيرَةُ ، دَاخِلًا نَتِ ، فَكُلُّ مَا كَانَ عَمَلِيَّتُكَ أَنْ
تَفْعَلَهُ هُوَ الْكَوْفُ ، وَالْكَوْفُ ، وَالذَّلُّ بَأَن لَّا يَرْجَبُ الْبَاعِ
خُجَاةً بِالْأَجَاهِ الْخَاطِرِ ، فَيَنْقَلِبُ الْمَرْكَبُ شَحَابًا . فَمَاذَا كُنْتُ
تَفْعَلُ ؟ أَنْ تَضَعُ رَأْسَكَ فِي سُلْفِ مَكَانٍ فِي الْعَارِبِ
وَأَنْ تَحْبِسَ وَهَيْكَ بِبَيْدِكَ ، فَتَنْظُرَ بِفَارِغِ الْبَصَرِ أَنْ كُنْتُمْ
هَذِهِ السَّيْرِيَّةُ الْخَبُونِيَّةُ ، وَبَعُودُ الدَّلَاتِ إِلَى وَجْهِهَا ،
فَيَرْجِعَان بِكَ وَبِالْمَرْكَبِ إِلَى أَيْدِي هُنَّ .

وفي يوم من الأيام ، قررت يا بلبل أن تخرج بفارس
ذات مخالب لصوص لومدك ، وكان جبال وابلال في مواربها
الشراعية الصغيرة ، وكاننا بعيداً عنك ، وكنا أنا والدتك
بالحكم الشراعي الذي كنت تحاه (كنت تحاه فقط
بصنا) ، وبعده أنت هذفت بعيداً عنك ،
فمررت نفسك مخبأة وهياً في وسط البجيرة ، بعيداً
عن أفومك والدتك ، واحترنا منك ، والتفت
تجاة أنت تعاني من أمر ما ، واحتمدك أنت كنت على
رأس الانقباض بالبحار ، ولا نراة في ذلك ، فانت
في وسط البجيرة ، لومدك ، في قارب الصغير ، والجميع
بعيدون منك . ولا أذكر ما الذي فعلناه لإفراحتنا
ذهت الحازقة ، ولكنك فمررت ، وعادت الأمور
لمجرباتها .

وبالطبع فباتي أريد أن تحفظ ذكرياتكم مع هجكم ، فالذاكرة كما
قلت كنت ثمين ، وقد تكون الذاكرة في أعلى ما يملك الإنسان -
أتمنى "يملك" ، وهذا في غير الأمور الثمينة التي لا يملكها الإنسان ،
كالأولاد مثلاً ، أو كمن يحب ، إذ إنني مثلك لا أملك والديكم
ولا أملككم ، ولكني أملك الذكريات الناجمة عن تفاعلاتي
معكم ، و البجيرة البعيدة معكم مشقولة ، ولكنكم معي ياتي

الوقت ، ويجلسون كل منكم في موقفه في الحياة ، منون بكمون أن الذي
تمتلكونه والخاص باسم هي تلك الذكريات التي كملوها معكم ، وهي
تكمّل هذه فكم . ومن ذائبتكم ، وهي كما أقول ولقد دققت في
فضم تلك الأفكار الأخرى التي سوف تدور بذكركم في حينها .
فأربو ، كي أقول ، أن تحفظوا ذاكرة آياتنا معاً مع هبكم ، بلدنا معاً
في الأحياد وأنت يا جمال تهبس الطائفة على أرمي وجهه ، أد ذهابنا معاً
في اليوم الثاني أو الثالث من الصيد للذئب في المطعم ، ومساويرنا إلى
طرية ، وعكنا ، وبالطبع ، رحلتنا المكررة إلى أركيا ، ولتحال النار
في الكدنة ، وأكل الكندار ، وأنت يا آبال في لعب الطائفة
مع ، وأنت يا جمال أربو آفياً أن تذكر مجيئه إلى بيت شذات
أرويدا الأول ، برنقة سانا ورفقتنا جميعاً ، للاستماع إلى أولى
"مفلات" الموسيقية . لقد كان لمعكم بجانبه وهوله أكبر الأثر عليه ،
وكيف ولا والجد يستمع في آف آياته بعبود نلده ونل نلده
من بعبه مولده ، فيعطيه ذلك الشعور بالتوصل ، والاهة ، بل كان
لقد في بعض الأيام (حين كان في شركة الكلاب) أن يرافقتي وقت
الظهور (حينما كانت السيارة صر والدتكم في يدتي) لاصطحابكم
من المدرسة وقت غروبكم فيها . وكم ذكريات مع لد أعرننا ،
حين كنتم في بعض الأحيان تذهبون للنم عندنا ، وهذه هي
ثروة منه عندكم ، وهي ثروة لم تعلق لتدفع من هياتها

الأعداء من أفعاده. ~~هو~~ بسبب الطواف القاهرة والألمية، والتي
جعلت من الصعب قضاء الأوقات المحفوظة معاً، منسأً أولاد
زكي وحاتم ومنيرة وسائدة بعيداً عن القدس، وإن كانت هناك
بعض اللقاءات والزيارات، إلا أن تفرقها وتباعدتها لم يتبع الحال
الكامي لأولادهم لأن يستمتعوا ويفتنوا بتلك الأوقات
التي قضوها معاً نتم.

أما أنا فإني أيضاً لا أظن أنني كنت سوف آتون سعيداً
لو كنت أحيى في المهجر فدل تلك السنوات العث الأخيرة قبل
وثائقه. بل كنت سوف أشهد أنني لم أشرز فرصة ذهبية لي لكي
أعرف عليه. نعم بالطبع كنت أحضره، ولكن لم تستطع التوقف عليه
لحقيقة وفعلها. ولم تستطع التوقف منه والتعلم والاستفادة
سوى في تلك السنوات الأخيرة، وإذ كنت دائماً أهدمه وأهدم
قدراته وآمبه، فإني فقط استطعت أن آتوف على طهارة تلك
القدرة في هذه الفترة. فلما جاء الوقت شئت ليس فقط
نبتون والد لي بل أيضاً بفقدان صديق غني بفكره ومهيم برأيه
وهو بفعله، وكنت كأني أرى فيه الرجوع الأول والوحيد لها
بحري حولنا من سيلة، ليس لأنه والدي، بل لأنني كنت قد تعرفت
على هذه الحكاية لديه، ولم يبدو لي أبداً كبقية الرجال من حولي،
بل بدا وكأنه آت من عالم آخر، إما من ماضي سحيق أو

من مستقبل بعيد ، وبدا وكأنه كان يعيش هذا الزمن فقط لقضاء حاجة
هي حاجة النفسانية والرشيد لا ينام نومه ، ليس بشكل درامي أو
صوفي ، بل بشكل تدريجي وأبوي ، وأقول إنني شئت كل ذلك ،
وتعرفت على كل ذلك ، فقط خلال السنوات الأخيرة ، إنني إذ كنت
أقدم وأقدم مداته سابقاً ، فإني قد كنت كذلك بسبب كون
ابنه ، وأما في الفترة الأخيرة ، فاستطعت أن ألتصق إليه ، وأن
ألتصق به من كلب ، وكان هذا الأمر بالنسبة لي إلتصاقاً وإخفاءً لم
أدري ما يتبدل به . والله الله أنه أكرمته عنه وفاته . لذلك
أذكر ذلك اليوم قبل وفاته بيومين حين كان مستلقياً في الفراش
مبتسماً هذا في حيل الزيتون وقد قرأ الأربع إلى البيت ،
فدخل الطبيب عنده ، فنظر إليه مستهزئاً (وكان يستهزئني
من تدرة العلم على اسم أدوية الحياة والموت) وسأل : هل استطعتم
من ألتصاف تلك " الجرموتة " التي سميت في هذا الصف ؟ فبهت
الطبيب ولم يعرف كيف الإجابة ، ونظ موله الإنياص
ليستطلع معلوماً وجهها ، وربما قال في نفسه : ماذا ، ألا
يعرف هذا الإنسان أن الرجلان على وشك العشاء عليه ؟ وأي
جرموتة هذه التي يتكلم عنها ؟ قد يكون يرهذي . وفهم الطبيب
سودها وجاهاً ، جاكلاً بقدره هذا الإنسان أن يؤبه الموت
المكثوم بآل ساهر فيه من روح النكتة ما قد تجده فقط

في ألامديت عابرة في مثل لوكيتيل أو على مائدة طعام. صلباً لو أمني
انه لم يكن غائباً من المحل، ومن لا يخاف من العجبريل، فاحمد منا
تقريبه الكهبة عندما كُت طائفة في طوله لم تظاه مداه بعد، ولكنه مع
الرهبة كان أيضاً متكلاً بشخصيته، ولطفاته، وأذكر ذلك اليوم
حين عاد من المستشفى، وأهبط أن يجلس ولم لفترة قصيرة في "الكفيل"،
وارتشف شيئاً من البيرة، ولم يكن يفعل إلا توديع حاكم الدنيا،
عالم السحر، والربيع، والاشجار، ولم يحكف لفك دقائق من آهس
بالصقب ثانية، وطلب له هؤلاء إلى ترفة نومه، وكأنه كان يعرف نومه،
وبعيد لقاء ربه في بيته، وليس في مستشفى أو غربة. دكتم سعدت
لأنه ربه أكرم في وفاته، وفي جنازته، والآن وأنت تنظر إلى منيل
الفنديو المسجل للملك المطهرة في البلدة القديمة ونحن في طيفاض باب
العامود إلى شارع الواد وعبسوق العفانين إلى ارم، فلا يحكف إلا أنا
نرى بوادر الاستفاضة القبية التي انطلقت وتفتت بعد ~~سنة~~ سنة من
وفاته، وكان وقته قد مر، إذا كان سوف يبدو غريباً في هذه المرحلة
الكبيرة من تاريخ شعبنا، تاريخ أطفال الحجرة وندرة المخيمات، تاريخ
أبطال القيادة الوطنية الموحدة والبيانات، تاريخ الجيل الجديد، جيل
الذئبين، جيل الوثبة نحو الحرية والنصر.

وهو أيضاً، وللمفارقة، جيل المساومة والتنازل والاكتراف، وهذه
الأمر لم يكن ليستغفه، فهو لم يرض يوماً أن يفهم الفلسطيني

لفلسطين بالامم المتحدة بـ ١٤٨٠ . وباللغة بلور موقفه الذي تجاه هذه الامم
في حينه . وهو الموقف الذي يقول قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، مطالبة
الاردن بتصدد المواجهة السياسية مع اسرائيل ، فهو كان يرى في هذا القرار
مطالبة بان يعود الاراضي المحتلة الى ابيه العربية ، بدونه انا يكون هناك
امم المتحدة فلسطيني اسرائيل مقابل هذا . لكن الفلسطينيون في حينه ابدوا الا
ان يتصدروا هم المواجهة السياسية . وقادهم هذا الامر بالنزاهة الى
موقع اصححوه وفلسطين هذه الامم المتحدة بـ ١٤٨٠ ، فلقد جاء قرار ٣٣٨
بعد بضعة سنوات ، وهو الذي يدعو للتفاوض مقابل تطبيق الانسحاب
المتصفي في ٢٤٢ . ثم تطور الامر بعد ذلك ، فوصلنا حيث وصلنا ،
وكنتم اتناقته دائما في سنوات الالفية ، قائلة له ان رفضه
لفلسطيني الامم المتحدة بـ ١٤٨٠ ، ووضع الاردن والعالم العربي في الواجهة
انما هو مناورة شكلية ، والمطلب هو فلسطينية ودولة ،
ولكنه ، كما ائتمه ، كان محترقا وملغا اكثر منه فلسطينيا ، وقد
لمنكري كيف حاول مرة ما لدفع ابو اياد حتى يانه يكون الاردن
هي اداة الامم المتحدة ، وكيف اهابه ابو اياد اتناقته الذين نريد التوقيع
على آية اتفاقية ، فلتصرف آبي هذا الموقف ، اذ انه لم يجد فيه
موقفا مشروفا اطلاقا ، وقد يكون هذا الفارق هو الذي بين نواحي من
الناس ، نوع متفك بالمبادئ والأخلاق ونوع آخر صفة للتفصيل
مع الواقع . وقد يكون هذا الفارق هو من بين المناقشات التي أجريتها

دوماً معه . فالأتمم اكله من بالنسبة لي (من الناحية السليمة ، للأسف
وليس من الناحية المالية ، والتي لم أتمكن ، مهما حاولت ، أن أحقق
نجاحاً فيها) كان دوماً أهم من التمارين والمبادئ ، وكنت أعتقد ،
ولاذلت ، أن طريق السليمة هي طريق الأمان ، وأن من يبتك
مبتكر الأتفة والكرامة في السليمة يظهره الفضل والغلة كسبي ،
وإن كان نموذجاً إنسانياً رائعاً ويستحق به .

وقد استغروبنا بين أموالكم (كما تستغرب والدعائم) أنني أنفج
نفسى كسبي ، أي أنني أعتقد أن أعتقد ذاتي في مجال آخر ،
كالسبت والكتابة ، ولكن هذه هي الحقيقة ، ودائم الأمر أنه يوجه
لدي في السليمة مبادئ أتبعه دائماً ، وهو الذي ، إنه إذا كان الآخر
قادرين على عمل شيء بدلاً منك ، فالأفضل أن يقدموا هم بعملهم ،
وعليه ، فإني حين أجه نفسي أعمم بعمل ما في السليمة ، ففي الأتف
أنني أعمم به لأنني أعتقد ، في تلك الحالة وذلك الألف والتوسيت ،
لا يوجهه أجه آخر يقوم به . وهذا مبدأ مشاركة الحد الأدنى ، وهو
على الحجة الذي يعتمده السليمة الحقيقي ، إذ إنه السليمة الحقيقي هو
الإشارة الذي يريد أنه يقوم بالعمل نفسه (طالما لم تكن هناك
في طه ناهجة من ذلك ! ! !) .

قام محمد حمدي اليوم بإنتاج عليه هائل . سألنا بعض هبات
من اللبغون الذي قُبِصَ به الأسبوع الماضي ، الذي قام بعبه في الماء ،
ثم أضاف إليه بعض هبات من البرتقال كانوا قد وزعوها علينا ،
و قرن موز ، و سكر ، وهكذا أصبح لدينا عليه مزاك . و ثمرة ما
في الأسبوع الماضي ، كان لدينا كيس عليه و عليه سلطة فواكه
من الكاندينا ، و كنا قد لمعنا بعض البرتقال ، و بعض الحوز ،
فخلطه بصيغاً ، و صنع عليه مزاك من نوع ممتاز . أما العشاء
فمغل الآتي : كانوا قد وزعوا علينا قطعاً من لحم شبيه الألبورغو
فجاء ببصلة ، و على البصل على النار ، و وضع الكمة ~~بعض~~ بعد قطعها
قطعاً صغيرة عليها ، و في مرحلة لاحقة أضاف بيضتين ، فأصبح
لدينا شيئاً جديراً بالكمة مع البصل التي نأكلها في بعض الأحيان
على طعام الإفطار . و الطبق هنا ضد القانون ، و لكن السجواء
يُفعلون طريقة هي الفتيلة . و الفتيلة هي آنا تأتي بورق
الكمام و تفرده على الطاولة ، ثم تأتي بالمارجريننا ، و تبدأ بدهن
ورق الكمام بالمارجريننا ، و تفعل ذلك على طول مدرين قدامك . ثم
تقدم بطوي الورق من النصف ، حتى يصبح العرض هو نصف عرض
ورق الكمام العادي ، ثم تقوم بلغه ، فينتهي بك الأمر بلقافة ،
قلرها مثلاً سح أو اثنين ، و سحب قطعة صغيرة من اللقافة

من الوسط ، وتصل بها النار . وهكذا تبدأ النار بالاشتعال من فوق ،
ويصل هذه هي الفسيلة ، وقد تستمر مدة عشر دقائق ، أو أكثر أو
أقل ، اعتماداً على طول قطعة ورمه الحام إلى لحظة انطفئها
أصلاً .

الواقع لو كنت لوهدي لما كنت شغلت نفسي بهذه الأمور ، بل كنت
أكلت الطعام بالشكل الذي يحبني فيه ، ولكن عظمي أن زميلي في الغرفة
الآن يحب هذه الأمور . وصل تسبوعين أي قبل مجيئه ، مكنت
في هذه الغرفة (١٣) مع زميل آخر هو حاتم حبه القادر وهو
صغير يعمل في جريدة الغيا ومجلة عبيد ، وكان حاتم أيضاً يهتم
بعمل هذه الأمور ، وعلمه بأن الفنايل والطباثنج لم تنقطع
منذ مجيئي إلى هنا . وحاتم هذا مكنت معظم فترة الانتفاضة
داخل السجن ، إذ احتقل إدارياً في فترات ملاهنة عبر ثلاث
سنوات ، وفي إحدى المرات لم يفلح على إطلاقه سراحه أيام
بعددات قبل أن يجرى به مرة ثانية إلى السجن .

ولما وصلت هنا ، وصفت كما مكنت في الغرفة العجالة ، ثم
١٣ . مع الزميل محمد الصفدي ، وكان في الغرفة هذه (١٤)
اثنين ، هما حاتم و زميل آخر ، هو الشيخ محمد أبو طير
(أو أبو صعب) . وإياه كانت ثلاثة حاتم في الدس
صعبة ، فتصه الشيخ محمد أبو طير أصعب ، فهو دخل

السجن في أوائل السبعينات ، وفي سنوات كثيرة هي جاء التبادل
عام ٨٥ (التبادل الذي قامت به إسرائيل مع القيادة العامة للجبهة
النسبية - أحمد بيريل) ، وتم تحريك أكثر كثيرين ، منهم بالبيع
ابن كفنا سليم ، وأصدقائه آفرين ، منهم جبريل العبد ، والذي
تم سجنه وتم إبعاده في وقت لاحق ، فخرج أبو هادي من السجن
في ذلك الوقت ، لكنه سرعان ما تم تسمه إدارياً بعد ذلك ، وكان
هين رآني قد قضى ثلاثة أعوام إدارية (كل منها استثنى) ،
و يأتي من منطقة إرم طوبا جنب القدس ، ومن مضافاتها . ومع إنه
كان في الماضي البعيد (أي أواخر الستينات وأوائل السبعينات)
يعمل في حركة فتح ، إلا إنه كقول وأصبح قريباً في أخواره من
الركة الإسلامية (هكس) .

والواقع ان الكثيرين من تسمى فتح كملونه متولية كثير من الممارات
التي وقعت في السجن بين خفاى حركة فتح والركة الإسلامية ،
وصيته بالناس بين أبناء حركة فتح في السجن ليس صديقاً جيداً ،
و لكنني خلال فترة مكوثه هنا كنت أراه يومياً ، وكنا نتبادل
ونناقش في أمور الدين ، وفي حب الخليل (التي كانت مازالت
متعلقة في حينه) ، وفي أمور سكرية أو سر ، ودوره إنساناً
طبيعياً ، وكم نرحبنا آنا وهاتم كذا ما أتى وقت الإفراج عنه ،
و لكن ، بدونه حادثة أي تجديده ، واستطاع بالناسي آنا فخرج من

السجن ويجمع لدولته. وكان قد تمنا تأجيل من آن السلطات إذا أرادت،
منها ثنائي في اليوم الذي سبق اليوم المحدد للإفراج، وتسلم المعتقل
أسراً احتياطياً إذا رُئيَ جدياً. وهكذا قلنا أنتظرنا ذلك اليوم
نغارغ العبر، وسنن من الرحمة، حتى جاد الحساء، ونحدها نحن من
الغور بالارتيام، والإصمثنان بأنه سوف يعود لبيته في اليوم التالي.
وهكذا يتوالى السجناء في هذه الإكبات، وهناك على هذا
الباب أسماء بعض الذين كانوا وصفاً هنا، ومنهم خط الله العيسى،
وسليم الصليبي، وهو من الناصرة، والسق أبو عزام - فريه
أبو مني، وهو من باقة الغربية، هذه بعض الأسماء. إضافة
لأسماء أبو مصعب، والصفدي، ومخوي، وهاتم كبد القادر،
وهؤلاء آفرون لم يجلدوا أسماؤهم، وآفرون سوف يعملون
تساعاتهم في المستقبل بدون شك، ولكم دقة تذكره صديقي صديقي
الزيلة، وهو والده قبيل وميت، ولقد قتل قبل وقتة هنا أحياناً

لم كنت سيئاً كراتيك اليوم . هي ولو كانت ذلك من خلال تلك الأسباب التي لا
 تمكنا إلا ضاحكاً بالذهب وعني بؤ صاف لا نستطيع التأكد فيه من إذا كانت
 الكلمة المسبوكة هي جزء من حادثة بيننا أم هي دفيلة من حادثة أخرى يجوزنا . ولكنني
 لم نستطع أن أعرف منكم عن أخباركم ، فلقه على الدفت بسرعة فائقة ، ولم نكد
 نبدأ في الحصة ها آرمجتنا تلك الصغارة التي يمثل زعيمها سلطان إدارة
 السجين . وسعت آهناً بأنني لم أتحث مع والائكم ، والتي شتاف إليها ولعادت لها
 كثيراً ، ولم آنا فخور بها لما فعله وتبذله من أجلنا ، ولم أنتظر اليوم الذي
 أخرج فيه من هنا فألعاكم وألمكم وأهضكم وأكون بينكم وألعب معكم وأهادنكم
 بل وتسع صواخكم وتشهد مقالك مع بعضكم ، فإنها جميعاً جزء من تلك
 الحياة المشتركة التي طمأناها العائلة معاً مرة واحدة ولا تتكرر وإنما
 تتكرر سلباً هها ومثيلاًتها مع الصغار حين يأتي وقتهم .
 ولكن الذي فرغته منكم انكم بدأت بالموافقة على الدراسة مرة أخرى ، وانكم
 الآن قادرين على الذهاب إلى المدرسة ، بما يعني أن أولهم منع السجول قد
 نفقت شيئاً ما . يبدو أن الأمور قد بدأت بالرجوع إلى عاداتها . ولا
 أعرف الواقع كيف ستكون عليه الأمور حين يخرجون من هنا ، إذ إنني لازلت
 أرتب بالف إلى الأبد ، مع إن الدفت يبدو مفلحوطاً ، إن كان من
 ناهيتكم ، أي المقعدة على وجهه إيجاد مدرسة بديلة لكم (بصفة شتور) أو
 من ناهيتي ، أي المقعدة على الاستفادة أكاديمياً من الفصل الثاني .

د أود شخصيًا أن أذهب بعض الوقت للدراسة والكتابة ، كما وأريد أن
أنتزع نفسي من دونة السيرة ولو إلى حين ، وطالما لم أجد أمرًا شيئًا
يُمكنني تقديمه أو عمله ولا يستلج الآخرين فعله .

لقد كنت يا برن اليوم ~~جئت~~ انت قلت من الرسالة التي أرسلتها
إليكم الأسبوع الماضي . ~~صفت~~ وسوف تحمل من هذه الرسالة الخطوثة
بدون أدنى شك . وكيف لا وأنت لازلت في سن تفضل
فيها اللعبة على الكلمة ، ولا ترى اللعبة في الكلمة . لكنني آمل
أن تبقى هذه الرسالة معكم ، وأن تقرأها فيما بعد ، ثم أن
تعودوا لقراءتها كل حين وآخر ، فأنت يا برن وأنت يا أبا لاردهما
أنت يا جمال ، إنه مللتم اليوم فإني آمل أن لا تحلوا محذراً .

لم نلعب كرة القدم اليوم ، ذلك إتنا فعل ذلك أيام السبت والإثنين
ثم الأربعاء والخميس ، وأما في الأيام الأخرى فإن الغيرة تفضل
للتفاعل أي للتمردات بين بعضنا . واليوم وبينما مينا على طرف
السامية الصغيرة كعادياً للأطباء تكلمت مع آله الأخوة عن بعض
جانبه ، وكان من ضمن الحفنين الذين آلفني القبح عليهم في معرض البحر
قبل بضعة سنوات ، وهم في طهرتهم لداهل البدد للقيام بعملية ،
وتكلم لي عليك عن السجون في سوريا ، حيث قضى فترة ١٥ يوماً ، وحتى
بعض تجاربه في سجون إسرائيل . في هديته من البلدة الدينية سألني

قائلًا ما إذا كانت الدولة الفلسطينية سوف تعاني من نفس مشاكل
الدول ذات حقوق الإنسان وصيغته كالدول العربية الأولى. والواقع أنني
لا أدري، ولكنني أعتقد، من جهة، أنه مشاكل الدول العربية متشابهة وضارًا
وفكريًا في أوضاع الشعب الفلسطيني، وإنشاءت تعاني إلى حد ما من نفس
المشاكل، ولكنني أعتقد، من جهة ثانية، أعتقد أننا لن نجد قد افترقنا
هنا من زمينة كثيرة قد جعلنا أكثر وعيًا لقضية الإنسان وضارة القامة
وهناك بحسب كثيرة فاضها شعبنا تحت الإهلال وفي المهجر من شأنها
أن تدعم ومكانة ذلك السيار في المستقبل الذي سوف يدمر لهون
الحقوق. على أية حال، فإنه يقال الآن الفلسطينيون من ينتمون بإقامة
الدولة الفلسطينية، بل سوف يبدأ عندها، وهناك سوف يكونه الإسماعيل
الصعب، إسماعيل النفوذ الذي يمر به كل طفل وصبي بعد ولادته، وطور
إسماعيل يحمون به اليوم، وخاصة أنت يا جمال، لو كنت الآن في مرحلة
نحو حكمة، فأنت تدع عالمًا كاملًا وتستقبل عالمًا جديدًا، عالم
تبدأ فيه بقميص ربيعك وبقل تفصيلات وبالعبث داخل ذلك،
وهو عالم راسخ ملئ بالآلات ذات، وهو ليس أهل روعة من تلك
الآلات ذات الدولية التي وقعت بطن في ظلم الحس من هولاء في سنين
الذوى. وتذكر قوله تعالى "وسوف نزيلكم^{أي آياتنا} في الآفاق وفي أنفسكم".
وهي آيات لا أعتقد إن بالإمكان التوقف من الدهشة بها.
وأنا الآن يا جمال، لأفكر وبعد أن أصبحت ٤٤ عامًا من العمر، آملًا

ولأول مرة كتاب تولستوي "الحب والسلام"، وقرأت نفسي أنت
التي أهدت لك بها إياها ماما. ولا أدف لكم من الكتب الأخرى التي
سوف تستطيع أن أقرأها في حياتي المتبقية، ولكن من العظيم أن
أعرف أن نعمة روائع أدبية يقرأها أو يقرأها ابني ولم أصل إليها
بعد. إن هذا الشعور، يأتي مرهما بلغت ومرهما ظففت في نفسي،
فأنا لا زلت جاهلاً، ليس بأمر معقدة أو متطورة فخب، بل هي
في أمور بسيطة وبديهية - هذا الشعور، وللغاية كما قد تعتقد،
هو شعور بالبهجة والسعادة، إذ هناك الكثير الكثير مما هو في
منال اليد (لقرارة كتاب جيد) الذي ما يزال هدناً لي لكي أنجزه.
وكم لطفت و أنا أقرأ هذا الكتاب أن أتذكر من خلال أسلوبه
تلك اللامسة قيرجينيا وولف، وخاصة في مقدمتها على العوض في الذات
الإنسانية وإخراج الوعي الذاتي إلى الطمع. أمول ذلك برتي لم أكون
أن آبه ذلك في تولستوي، ولكنني وجدت، ونحني شعور
بالنسي وطمعاً بنيت منه ذلك، لا أدري لماذا.
كما ذكرني وصفه للمعارك، كقوله أوسترلنز، ذلك الإنسان الذي
توفيت عليه ذات مرة في لندن، وكان طالباً ضالاً، وهفيداً كما
قال لي كالكمة تونغاً - وأكتشفها جزية في المحيط الأطلسيكي.
أخذي ذات يوم لشفة في لندن، نياذ هي مليئة بمئات الكميات
الضخمة للكنود بالملابس العسكرية المختلفة، كنود نابليون وكنود

من ذلك أقدم ، وللآليات العلمية المختلفة ، كالمناخ ، وكانت كل هذه
تملك الأرض وباطن الأرض والمنخفضة ، حتى لم يكن هناك موقع
تقريباً للقدم ، وجلس على الأرض يفكر في المعارك الوهمية التي
ينظمها لنفسه ، وكان هذا الإنسان كبير الحكيم ، أضخم من كثير ،
ولم يهدف أن رأيه مئة بدو بدلة رشيقة ، يلبسها مع رجلة
عقو ، وهذا لاعم ، وكل هذا كان غريباً لنا في حينه في وسط
طلابي ، وفي جبل لم يمتد لللبس البتة ، ولكنه كان كذلك عن
جهة ، أي يبدو ضعفاً ورشيقاً وربما ناضجاً في الشارع وأمام
الناس ، وكان طفلاً من جهة ثانية ، وذلك حين ينجلي إلى
نفسه داخل شقته ، ويبدأ بتنظيم المعارك وتسييرها ، ويخطط
للهمج والذئاع ، وأما أنا فلم أعرف بالستون الحربية لدرجة
تمكنت من العتبة منها إذا كان ينظم معاركه بالشكل الذي يتوهم
تنظيمها الميزان ، أم إن كان يفعل ما أذكره إتي كنت آفسي
أوتاماً طويلة في فعله في طفولتي ، ~~وهو~~ وإن كان بعيداً اللبس ،
وهو تنظيم معارك أقرب للخيال ال ذبح منها للواقع . نعم
كنت أغفل ذلك ، تماماً كما يلعجون أنتم أهلياً ، ولا أدري
إذا كان فيه مأكلة كونفا في حينه يفعل الشيء ذاته بالرغم من
خاربه هجم الجسم والسن ، أم إذا كان لهوه أكثر جدية . بل
لا أدري لأي مدى يمكن للإنسان منا اعتبار المولعين

بالأسلحة الحديثة والإستراتيجيات الهجومية والدقة الالكترونية أمثالاً
لغيره هاتكة تونفا في حينه ، يبدون في مظهرهم اني ربي في غاية الرسمية
والكبدية ، لكن بواقعهم في تخطيط المعارك وتسييرها هي في نهاية الأمر
نزعنا طوفولية ، أي بدائية قديماً كمرة الإنسان .

وقه يجد الفارسي نافذة على سذاجة الحرب وزيف تكبيدها وتعجيب أبطالها
لدى تولسوي في ذلك المشهد الرائع كمنها يقطع الأثير أندي حاملها
الكرامة ، في تصبح به أنكاره بصياً عن ساحة المعركة ، ويرى السماء
بموتها ، ويعي ذاته بعمقها ، فيصبح أمامه بطل الأمل نابليون
قزماً صغيراً تافهاً ، وهو يجلس في مجد النصر على هضابته العربي في
ذلك الموقع .

هل تذكره كيف رفضت معلمة ركوب الخيل في ساحة فلور أن أركب
الحصان وأفرج عنكم ؟ يا لها من فضيحة ! أن يخرج الأولاد على
الخيل ، و أن يعرف كيف يمشطوه ، بينما يفضل أباهم هي في
الكلوس عليه !! و لكننا فضيحة لها أجيالها ، تماماً لقوادتي
لكتاب وأنا بعد الأربعين قرأتها ، ابني من قبلي !!

الزمن يتر والوقت يتر ، ولهما يتران ببطء وسعة ، فالوقت يمر ببطء
وأما الزمن فبسرعة . والوقت هو هذه الدقائق والساعات التي تطغى على
وعى الإنسان ، فهو في حالة مستمرة من الوعي بها ، وأما الزمن ، فهو
الوقت الذي يهي المرء به حجارة ، وبعد مرور الوقت البلى ، فيكتشف
أن أياماً قد مرت ، أو أسابيع ، أو أشهر ، وهكذا ينأى أنظر للتواريخ
المختلفة على الموزانة المعلقة أمامي على الحائط ، فأجد أن المسافة
بين الآن وبين تاريخ ما ، قبل تسبع ، أو قبل عشرة أيام ، هي مسافة
مدهشة لبعدها ، بل أكاد الآن أن أنسى تلك الكلمات التي سبقت
مضادة أبو حبيب ومودته إلى بيته ، أو تلك الأيام التي منيها مع
حاتم نبل مغادرته ، وأما الوقت ، وهو الزمن الحاضر ، فيمر ببطء ،
فإنني أنظر لتاريخ الموزانة اليوم ، ثم أنظر إليه بعد دقائق ، أو بعد ساعة ،
فأكاد أن أضيق بعجم الحركة في الزمان ، وكأني قد تحوّرت بل صلبت
في هذه المسافة ، أو في هذا اليوم .

وبعد أن انتهيت من كتابة مذكراتي الأخيرة ، كنت قد قدرت العودة إليها
مع مطلع هذا الأسبوع ، أي جدد بالحقيقة بعد زيارتهم ، وما يتبع الزمن ،
فإنني اليوم ، وجد أكثر من شعوري ، أضافاً بأن الزمن قد مر بهذه السرعة .
وقد كنت قد رفعت برنامجي لنفسه خلال هذه الفترة : أولاً أن أنتهي من
مراجعة تولستوي ، وكما أراد إيجيبي به كلما مرأت شيئاً منه ، حتى وصلت
للهيئة ، ورفعت عندها صلياً ، إذ إنها تكسب هناك ثمنه بالندوة

فمنها باروئية التاريخية ، وما من شك بأنني سجلته عندي كأحد العطاء
في هذا التاريخ ، وأمثاله ألد وقعا ونظرة من كثيرين كتبوا عنهم ،
كلا عند مثل آرنابليون أو غيره ، بل يبدو نابليون ملجأ بالأقل
تاريخيا مقارنة مع فكريين مثل تولستوي ، وهم ، أي أبطال التاريخ ،
قد يلجئون به ويعبرون عنه ، ويشعرون بالذلة في أعمالهم ، بل يلجئون
الكبد بأنفسهم ، لكنه لهم ولعب ، وتبقى الدهشة بالعالم ، والتاريخ ،
والإخفاء ، ويأتي بين حين وآخر من يتعجب من التعجب عنها ، وصياغة
الأسئلة حولها ، ووضع المسائل الأولى على طريق فهمها واستيعابها ، ويتبع
هؤلاء ، ويخلد أعمالهم ، ويكتسح هؤلاء الزمن والمخاضات والعرضيات ،
فتصبح إنسانية بالفعل .

وهنا إلى جنب مع تولستوي فيأتي آفوم براءة أمور أخرى ، مثل تفسير
القرآن الكريم ، وعلي أنا أفهم منه مع نهاية هذا الأسبوع ، وبعض الكتب
السنية / الفلسفية / الدينية التي تليقها من جماعة حزب الله ، وهي
أرضيا ملية ذهنيا ، وبعثات براءة رواية جلبتها لي والدكم ملية
هيا ، وهي أيضا تاريخية بمعنى ما ، تأبطها وأدتها موصوفة في بداية القرن
الربع عشر في بريطانيا ، وهكذا أقفل من كتاب إلى آخر ، وأحاول أنا آخر
شيئا ما في العبارة العبرية يوتيا ، وأكتب بعض المقالات ، وهم يقرأ

و بعد اليوم في رمضان عندما بالعدد ، هو إلى السنة السادسة والستين ،
هنا كتب علينا القفز من الفراش ، أنا ورفيقي في الغرفة ، والوقوف

بانتظار حارس السجن . وبالعادة ، يأتي تسيقظ عندما يدخل الضرب في
ثلاث ساعة ، فهو يدخل صائحاً ، ويبدأ بالدق على أبواب الغرف بسلّة
الحنانيم ، ونحده يصرخ على الأسرى اليهود الذين لا يزالون في فراشهم ،
وهكذا ، وقبل أن يصل إلى غرفتنا ، نكون قد هبطنا أنفسنا ، ووقفنا ، جنباً
لذي صانعة محفلة بيننا . ولا يتفوق مجيئه إلى باب غرفتنا ثمانيتين ،
فهو يأت إذاً ثمانيتين ، ونحن نجيب ، ويستمر في بولته .

و نتمكن حينها من الدخول إلى الفراش ، وقد نبيح أهدنا بالعودة إلى النوم ،
ولكن أهدنا يجب أن يبقى صائحاً ، إذ يتبع العدد توزيع طعام الإفطار ،
والإزعاج أكبر حجماً من المضموم ، إذ يأتي حارس آخر في بادئ الأمر
ليفتح أحد القفلين على الباب (أثناء الليل يفتح الباب بقليل ، وقبل أهد
أثناء النهار) ، ثم يتبعه ضميم الأسرى المدنين الذين يعملون في التوزيع
(الكوليا) ضائ آدهم مع قطعة من الزبقة ، وآخر بعده أو قبله مع شيء من
الخبز ، وتلك هذه لنا من فلال النافذة الصغيرة على الباب (ستر مربع)

ثم تأتي الصينية ، وتوضع على الأرض خارج الباب ، ومنها زيتون ، وبعض الموزي
واللبن أو الحبة ،
فيضعها الحارس ، الذي يأتي مرة أخرى فيفتح الباب ، وينتظر دائماً يخرج

أهدنا لحلب الصينية ، ولتوزيع سلّة المملكات ، وبعد آن يرمع ، يعود
ينقل الباب عليه (وي تسمى الشار ، هناك إزعاج آخر ، يتمثل
في آدهم الذي يوزع الشيء أو سلّة سخنا آخر) .

وهكذا ، بعد الانتهاء من هذه المراسيم ، نرجم إلى النوم ، ولا نستيقظ قبل

مواقي العشرة صباحاً (إلا يوم الجمعة، بسبب الزيارة، ولكن أيضاً بسبب
زيارة دورية تقعدية من إدارة السجن). وعندما تستيقظ تغلي الماء بالمازليزج
للشاي، وتأكل الإفطار.

في هذا الوقت يكون العنبر يعتم بالشموات، والسبب أن ضابط العنبر يتقابل
مع المساجين، ويأتي أحياناً ضابط الشؤون الإقتصادية، وهكذا، في
أكثر الأيام، نصل إلى غرفتنا أصوات من العنبر تدل على أن نظاماً ما وبرنامجاً
ما دمعد ما، أخذ بالتطور. كما وصلتنا أصوات بعيدة بعد النافذة من
الخارج، وبطهرها من العالم الخارجي الحقيقي، كهوت جرافة، أو كفيف السيارات
المسوعة في أحد الشوارع، بل وصلتنا أحياناً صغير القطار الذي يمر من
منطقة الرملية، نرى القطار القادم من القدس، والذي ركناه سواً ذات
مرة، وأخذنا عبر الجبال والأودية حتى وصلنا إلى بيت لحم، إن كنتم
تذكرون، فنزلنا منه في تلك المنطقة التي كانت تفتقد رصيفاً لمادياً، وطلفا
سكة الحديد للطرن الأخر، وانتظرنا القطار القادم من الناحية الأخرى، وهو
للقدس. وكلهم هو غريب هذا الإنسان الذي يمتلكني ليدركني بقربي لمدينة
الرملية، فهو شعور بالإنعاشان، والقرب من الأصل، والدقة، إذ قد
صلت في باطني الرملية بذكريات والدي وبالصور والتجديدات والشوق
كأنه سفي حجري، وإن كانت الصور والتميمات، الذكريات مخوضه
أحياناً للتبني، فقد ساعد في تمييزها في ذهني في هذه الحالة وبود صريح
يؤدي في رطل الرملية القديمة، وما أعجبها من مفارقة، أن يكون في الرملية،

ويتم دفنه إلى جانب ضريح البطاي ، وتتمثل البنته إلى القدس ، وتقع الحب ،
ويتم بناء ذلك الحائط الأليم الذي يسطر فلسطين شهيداً ، وأضغاً الحملة
في شطر المفقود العظيم ، وأن توالى الأيام والسنوات ، فتقع الحب الأخرى ،
ويؤمل ذلك الحائط ، وإذ بين البنته بعد سنوات من ذلك عظمى يؤتى به إلى
هجرة ، ويوضع في ذنابة قريبة من قبره .

بل يا لدعشة حين جاء ذلك اليوم ، وأظنه ثلاثاً $\frac{1}{2}$ ، إنا قبيل أو بعيد
الربيع الحفصية ، حين هبط إلى السجن عبر نافذه ونوق بهدائه نسيم أزهار
البرتقال من جارات الحملة ، وهو الطعم الوحيد الذي استطعته من ربيع هذا العالم ،
وكان في ذلك شئ من الحواساة ، أن يتلعب الألف تدون ما لا تراه العين ،
وما أصعب أن يكون الوثان ضريباً ، فلما تعلق من رؤية ألوان الربيع المنشرة
في الفصح والوديان . وأرجو أن تكونوا قد تمكنت من هذا الربيع من القيام
ببعض النزهات — كما كنت أرجو قبل حوالي شهر وعين هضمت الأقطار بجيزة أن
تكونوا قد قسمتم بزيارة وادي القنقل ، كما فعلنا ذات مرة ، على طريق الدير نحو
أريحا ، حين نزلنا ووجدنا المياه تتدفق بجيزة ، وكأن المنظر كان متوقفاً
من بلاد آفرى ، كقولنا بأنهاها الصخرة المتدفقة ، أو كأنه المبلد الآفرى
ذات المناخ الرطب .

و آخري الوقت في الثانية عشر بالعودة أو العكابة ، حينها تبدأ موسيم
وجبة الغذاء ، فتكرر البهلونيات والأصوات ، وينتج عنها ثورة ثانية
مواد كريمة مغلطها للروية والمذاق ، ويجب حب الأصول المتبعة أن
تكون من أربعة عناصر ، منها لك الملفون المقطع أو الحنى أو الغفل .

وهناك البيض المملوق البارد أو المفلّي البارد، وهناك الفاصوليا ^{حب} أو
الذرة أو البازيلا أو الكمح، وهناك الخبز، ووجبة الفساء على هيئة
حمام، إلا أننا نخطئ أحياناً ببعض التفسيرات، فنصلنا كأس من اللبن
مرة واحدة في الأسبوع (يوم السبت)، ووجبة أرز مع قطعة صغيرة من
الخبز (أو الكمح) ^{نحو}، أو قطعة من البلوبينغ مع الأرز. لكن الغالب
هو المملوق والبيض. نختار أحياناً خاويل إمبرد بعض التفسيرات على الفهم الذي
يجلبونه، وخاصة عند وجبة المساء، فنضيف حلبة هذه أو فول من الكانتينا،
أو زيت وزعتر، وعلفهم هراً.

وبعد الانتهاء من وجبة الغذاء وشرب القهوة أو الشاي (نأخذ بالبن والشاي
أيضاً من الكانتينا مرة في الأسبوعين) تستمر بالعمالة، وبالعادة بينها،
بقراءة الصحف العبرية التي نصلنا في ذلك الوقت، وذلك في الساعة
الثانية، وهو الآن موعد الغيرة. أما في الأيام العادية، أي خارج
شهر رمضان، فتتخرج بالغيرة الساعة السابعة صباحاً. وهنا يفتح الكارسي
باب الإسكات (رقم ١٢ و ١٣)، وباب الفوف الألفية الأخرى
(١٤ و ١٥ و ١٦)، ونخرج برقعة الكارسي وبعليليات المسؤول الأهلي
(وهو الآن ~~في~~ في حيان، من منظمة ألفريد جيرويل) إلى الساعة، وهي
حلب مبطّن لا يزيد مساحته عن ٦٨٠ متر مربع، كطابق
الحدود العالية من كل جانب، وهي بدون كحوي الخنازين ونفوف الأسر
وأدعها، وأما سقفها فمفلوق بشبك على طول مساحتها، ويوجد

على سقف آله الحيطان بها برج مراقبة . وهذا نبأ آدلا متلقيا بالمشي
مول الساحة ، بعضنا بسرعة وكأنه يتسابق من أجل اللحاق بشئ ما
قبل فوت موعده ، والآخرون يهرولون ، ويتخالط ببعضنا البعض ، أو
"تتفاعل" مع بعض كما يقولون . ويوجد رواد الكناك الكنوبي على الطابق
الأرضي مخبر زنازين ونرف يسونه بـ "المخبر" ، ويأتون إليه بكافة
الآسى من السجون الأخرى المتكبرين للمحاكمة أو للمستشفى أو السجن آخر ، فيتلقون
لنوافذهم ، ومنها يستطيعون رؤيةنا والكلام معنا ، وهو يشبه عملية
قنارات أو باصات ، حيث يلتقي الأصدقاء ببعضهم ، ويودعون سلامهم لبعضهم
بعض ، ويسعدنا ببعيهم هذه الهدى أو ذلك .
ر بعد حوالي عشرة دقائق من هذا المشي وهذا "التفاعل" نرتب أنفسنا
أمام السب ، الإثنين والأربعاء والخميس إلى فرقتين أو ثلاث فرق
رياضية ، كيتوي كل منها على أربع لاعبين ، وهذا نبأ باللعب ، وهو
لعب شاق للغاية ، يمتد بالساعة ، بتقرير الكرة (القاذبة) بين اللاعبين ،
ومنهم من يلعب جيدا للغاية ، كما لعب سرور ، وهو الذي ساعد في رسم
الكرة التي أعطيتها لوالدكم كهدية بمناسبة عيد ميلادها ، وهو لبناني شيعي من
حزب الله ، ولعبه الله ، وهو مناضل من فتح شارك في معركة الدماخ
من بيروت عام ٢٠٠٦ ، وتكلمت معه بشهاب عن المعارك التي وقعت هناك
وحياتها المشيرة ، وكبار ، وهو من أصل فلسطيني كان كيدم في الجيش
الاردني عندما اقتباز الكرد وحقق قبل حوالي عام . ثم ضاقت حباتي ،
وهو أخ عبد سرور ، وصفت القصيرة قدسه الهائلة كارس برى

على احتراض معظم الفتيات على الهدف ، وتكاد تكون إصابة الهدف
وهو هارسه بعميزة من المعجزات. وهناك أيضاً محمد السندي ، وهو
رابطنا في الإكست ، ولكنه الآن كما سنعنا ، يتعرض للتحقيق في زنازين
أهـد السجون ، وهو يفتظ على لياقة بدنية / رياضية عالية جداً . ثم
يتوالى اللاعبون بعد ذلك في قدامهم ، و أكتفد انني أذكرهم شيئاً ،
وهذا يحثني جهداً مضاعفاً ، حتى أتمكن من الكفص معهم والحق بهم ، لكن
هذا الجهد ، والتركيز على "الباسات" ، والعرق الذي يتصبب كالأنهار
من وجهي ورجلي وبسدي ، والرهق ، ومحاولة تسجيل الأهداف ، وأجمع في
ضعف هذه الاعمال . . . بل ذلك ينقل بنا إلى حالة نفسية وذهنية
وبدنية مفارقة تماماً للحالة التي توجد بها داخل الغرف ، بل هي أشبه
بتجديد شبه يومي للمفنويات ، ونفسي كذلك هي ينتهي الوقت ، ويأتي الأستراح
فننتقل إلى حصة ضيافة العودة إلى غرفنا .

و أراجع إلى الغرفة ولعباً بالعرق ، وتكون الساعة حوالي الثالثة ، وهنا
أقتل بالمارابف أو الفاتر من "الدوش" ، وأضع ملابس الأهلية
في طي لتقعها بالماراباد والصابون ، وأغير ملابس ، ثم متوب
ناتاً من الساي ، وأهيناً متوب من ذلك الطير الهائل
الذي يصنعه رفيقي في الغرفة محمد عيسى من اللبغون والبرقال والموز دمنه ،
ثم زرجع إلى السوي للاستحمام عليه ، وهنا أراجع بالأنفب إفاً
للزودة أو الكتابة ، وفي بعض الأحيان قد يكون هناك ضيلام على
النبدو ، إلا انني أقامل أن أرهق النظر إليه في ساعات الليل ،

هذه تتم إعادته . وقد أخفى لجميع ساعة أو نصف .

عند حوالي الخامسة تبدأ مراسم العشاء ، وإذا كان محمد قد فرغ أن
يغتنم من طعام الأكل فيكون قد انتهت منذ الرابعة بإعداد القليلة ، وتقطع
هبة من البندورة أو الخيار ، أو ما تشته . وفي الساعة الخامسة آخراً
تفتح التلفزيون على برنامج إخباري ، وفي هذه الأثناء (حوالي الثانية
عشر ، والثانية بعد الظهر) تكون قد تم عدداً مرة أو اثنتين . وبعد
العشاء ، والقهوة ، تلعب الطاولة (بالعادة ، ثلاث مرات) ، ونزح
إلى السوبر للإستلقاء ، والقراءة ، هي الساعة والشفع وصدى
الأخبار ، وفي حوالي هذا الوقت يأتي أحد المراسل لإغلاق الفضل
الذي على الباب ، ويأتي الضابط للعدد ، وهذه المرة ، لقد الضابط
الباك ، يجب علينا الوقوف . وبعد ذلك أربع ثمانية للإستلقاء على
السوبر ، والقراءة ، هي الساعة ، وصدى الأخبار .

وهنا أبدأ بمراقبة التلفزيون الذي متابعتي كما في يدي من كل ، وبأني
أحياناً الضابط لإجراء عدد آضي ، أو عدد نفسي يصعد الإسم والهدوء ،
أما من الخاطيء ، فتبدأ في هذه الساعات " الاتصالات " بين غرف
السجن والمستشفى ، ويضع المستن على بعد حوالي عشرين متراً من السجن ،
أو بين غرف السجن على الطوابق المختلفة ، فتسمع أهدهم صاخاً
" أبو فلان . أبو فلان . " وتسمع رداً مثل " من الصائم من أنت ؟ " .
وهكذا تبدأ الأحاديث ، أو يفصل هذا الانفصال لسبب أو آخر ،
فتسمع بعد لحظات الصامت آخر ، وقد يكون أهدهم يتكلم مع زميل له

لم يره منذ أشهر طويلة ، وصعدت منهم انهما وجه انفسهما في نفس
الناحية من السحب ، ولكن بغرف مختلفة ، أو في مواضع مختلفة ، أو أحدهما
في السحب والآخر بالمستنق ، وهكذا تتعدها تبادلات الأقدام العادية
ولكنها غريبة آخذاً لمن هو غريب عن معنى الاستقامة المتدشين .
وفي حوالي العشرة مساءً تبدأ أيضاً نل صار وآخر يسبح
أصوات غريبة من نوع آخر ، وهي ^{مدش} مساجين / قد وصلت الأمور معهم
ذروتها ، فأهدهم يصيح بل هنجرة للذي يسبح يأتيه لأراد آخر ،
وأهدهم يبدأ في السب والشتم ، وقد تسمع حولك وهو غافلاً
أو آتياً ، إلا أن أعجب ما في الأمر ، أن هناك البعض هنا معن
يتصنعون تقليد أصوات الكلاب والقطط ، وهكذا فأننا نسمع هذه
الأصوات الكيولنية بين الحين والآخر ، والواقع أنني لم ألتفت إليها
عزراً حقيقية ، إلا بعد اقتضار نرتة من وهو يد هنا . وهذه الأصوات
ألمها أو بعضها ، كفاكج صمت العنبر بين الحين والآخر وقد
يسمع ذلك من الثانية أو الأربعة صباحاً .

كنت في البدء أعجب هذه الأصوات ، إن كانت لاشين أو أكثر
تصاغاناً على بعضها البعض ، أو إن كانت أصوات الأنين
أو السب ، بل كنت أربط بينها وبين في الوقفة ، خاصة إذا
كنت وحيداً ، لكنني مع الوقت ، والعادة ، أصبحت لا أعيدها
شأناً ، وأعتبرها أصوات هدير القطار العابر من الحلة ، أو صوت
القط الكعبي الذي يقاع في زوايا المداخل والأبواب في الخارج

أو أي صفة آخر.

وقد فسرنا كما أسلفنا من الشاي خلال شهرة التلفزيون ، ونبقى
مع الفيلم أو البرنامج حتى حوالي الثانية عشر ، أو بعد ذلك بقليل ،
وعندها نطفئ التلفزيون ، وأحياناً نقرأ ، وأحياناً هو إلى
ساعة أو ساعتين حتى يغلبني النعاس ، فنأمد بيدي إلى أنبوب
النون على سقف الغرفة ، وأدبجها بضعاً مضعاً الصود ،
و نمرهناً نغني للنوم .

وصلتنا اليوم آباء سارة جداً ، قد تكون استباحاً يا جمال لكما دنة من الكائنات
 على صاء الخبيث الماضي ، قلقة باد حارسان ، بمنقعة هيات ، ونادراً على أربعة
 من الآسرى الذين ينظرون الزميل ، وطلبوا منهم النزول للإدارة لتسلم الأمانات
 البطانيات والفريضة الاستعجالية ، والتوقيع على الأوراق . والأربعة هم منير
 وهو الذي كان مد طلب السفر على حمار أعرج لكوبا أو تانزانيا ، ومجاهد ، ولم أذكره
 بقاً ولكنني كنت أبادله الحديث معه باستمرار في الغيرة ، لكنه لم يأن يلعب
 كرة القدم ، وحبه الله ، والذي لعب اليوم معنا لأفارقة ، وعندما خذم فريقه
 أصر على إجهاد بعض التبديلات لمقويته ، ومن ثم استطاع البقاء في الملعب
 (تسجل ثلاث حركات في كثير من الأحيان ، والفريق الذي يفر بهذين ينسحب
 وينتظر دورة آفون) ، وآفون جميل ، ولكنه كان قليل الكلام ، ومجمل
 الافتلاط . ولذلك لم آفون عليه جيداً . وسوف ينزل الأربعة هذه
 المساء إلى غرقة في الطابق الأرضي هي غرقة انتظار ، وسياومة فيها ، وبذلك
 يكونون جاهزين حين يأتي الصليب لاستلامهم فجر غد . ومن السجن سوف
 ينقلهم الصليب إلى المطار (وأعتقد أنه التزمهم يحملون جوازات فورية) ،
 ومن هناك إلى سويسرا ، حيث يبقون ليلة في المطار ، بانتظار
 الطائرة التي تقلهم من هناك إلى الجزائر يوم الأربعاء . وبذلك ، يبقى
 من هؤلاء الثلاثة الذين نصح ، تأمل أنا يتم نقلهم إلى السجن القادم ،
 أو تحميل بعضهم على الأقل . وفي الجزائر يتم تسليمهم من قبل المنظمة ،
 ويرسلون إلى قواعدهم ومراكزهم هناك ، على ما أظن .

ومن هؤلاء كان منير كدياً يعاني معاناة شديدة، وكانت معنوياته
ونفسه منهورة، لدرجة أنه كان يرفض الكلام مع زملائه، وكان
يمشي في الفورة وهيداً، وقد امتنع أيضاً عن القيام بنشاطات أخرى
كان يمارسها جيداً، ومنها حواية الرسم.

ومرّانا في الفترة اليوم أيضاً أذ السلطات قد تقوم بالازدواج عن صفات
المعتقلين كما ذكرنا من قبل من جانبها بمناسبة زيارة بيكر للبلاد، ولكنني
أرجو أن يكونوا المعتقلين في هذا الإجراء أولئك الأسرى الذين أُلصقوا
ومثلاً طويلاً في المعتقلات، أو من تبقى لهم نترات طويلة، إذ إن إطلاقه
سريع ثم سوف يعودون لبيوتهم خلال فترة شهر مثلاً على أية حال، لن
يكون مفيداً للحملة الأسيرة.

كما أرجو أيضاً وفي هذا السياق أن تتم صفقة التبادل التي يتحدثون عنها،
والتي تتضمن الرهائن الأهاب في لبنان، والأسرى الإسرائيليين لدى
الأطراف الفلسطينية واللبنانية، والتي تتضمن، في هذا الجانب، الأهوة
في الغرفة ١٦ في جنبرنا هذا، وهم السبعة من حزب الله، والذين
هناك و أبو الرشد، وهما من منظمة أحمد ليريل (القيادة العامة - كبيرة القيمة)
فإذا تم ذلك، لن نكون بكثير ذنب عندما نحين دورنا في نهاية هذا
الشهر (أدفع حوالي ثلاثة ملايين) نطرحهم إلى البيت.

لا أعرف يا أبا بل وإيا راق إذا كنتما لا تزالان تريدانه جهاراً، ونحن
 الواقع بيننا من القلق بسبب عدم تمكننا من متابعة أمر ذلك العمل
 في أريحا الذي وعدنا ببناء مخزنه له، أي للكمار، وكلم من المؤسسين أيضاً
 أننا لن ننزل إلى البيت هناك بالشكل المثالي، فعندما بدأنا بفعل ذلك قبل
 اعتقالي فبكرة طمأنينة لمصنعنا حقاً، أكان ذلك باللعب في الساحة الأمامية،
 أو في الباحة الخلفية (داخل البيت وخارجه) أو في الباحة الخلفية، أو غيرها
 ولا أدري إن كنا لنتم لذلك بتذكرونا الأحداث التي كانت فيها البركة مباركة
 للعبادة، وتوقف على أي حال بعض الصور من تلك الأحداث، ولكن ذلك كان
 قبل فترة طويلة، وقد التفتينا على الاحتفال بالبركة ما بينه الكفاية من جهة،
 ومما كانت فعلت الدعوة أكثر صلابة، ونظر الاستفاضة بالتأيد، والتي
 صنعت معظم الكمان من العيشة قبل هذا، ونصرت عليهم نطقاً آخر للقاء
 العيش، وهو عمل قضائي لا بد منه، إن كان للعب أن يقال هرسية.
 وكنا أيضاً في أماني في جانب القنات، بل كنت بإبرق أركن ورأيت عندها
 بدأت تعلم اللعب بالبليارد، حتى قبل أول صنادع مربية من البيت، ثم أركن
 ورأيت رهويلاً، وفعلت الأمر لنم فعلك يا جمال وفعلك يا أبا بل،
 ولا أظنهم يتذكرون تلك الدقائق والسمات الأولى عندما كنت
 أربي ورؤيتهم فاسحاً بمفرد البليارد، هي تتسكنون من الموان،
 وأنا القنات والمشي على جدرانهم، لقد فعلنا ذلك دائماً، وكنت دائماً

تزلزلت بيها و تزلزلون أنفسكم ، بل وفي يوم ما صنعنا كان جمال لا زال صغيراً
هياً وفي جبل السبعين الحاضنة ، وصنعناه أناراً كما ما في العنابة ، وكانت المياه
قوية ، فزعمناه نجاة نفلت من أيدينا ، و يتجوف مع المياه داخل العنابة ،
ولفنا حينذاك ورده ، يتصل بنا فوق لم نعلم من قبل بعثله ، ولا
استدرياً جمال إنك كنت متضح في العنابة ، لكننا كنا خائفين من أن
يصلهم رأيت هذا أو هناك بأحد الحافات ، ولكن الله سترهم ، وهم
و نزلناك ساماً .

بل كنا أكثر تغامراً في الماضي في آرياً ونواحيهم ، إذ كنا نقتني صائناً
أطول ، و ذهبنا يوماً ما إلى ثلة هترب التويضة ، و نزلناها ، و ذهبنا
صباحاً على ما أذكر إلى مقرهم ، و كنا نين الحين والآل نذهب إلى
العوام القوقا ، و نأخذ معنا بعض الحافيات لذلك ، و ذلك كانت الحافيات
فصلية آرياً ، و لكني كنت طلب قوياً من الأمان والإطمئنان ، و أصبح
فقوداً فلكل السنوات الأخيرة ، و لكن لا زال يسططعنا الذهاب إلى البيت ،
و قضاء فترات أطول فيه ، و محاولة تقصير البركة ، بالتمسك من أنه يومه كما يبدو
هذه الأيام بعض القسيطة على اتصال الماء .

لكننا وإن كنا قد قلصنا من زيارتنا ، و ملائنا داخل السدار عند
السنوات الأخيرة و بسبب الاستغاضة ، بأننا كوفضنا عن ذلك بطلاننا
ما مع السدار في فترات الصيف ، كما كوفضنا عن ذلك بفضاء فترات أطول
مع بعضنا في البيت ، ففترات منع السجود كانت أحياناً فترات سعيدة

وتصنيفها معاً ، وأعتقد أنكم سوف تكتفون إلى الأبد بذاكرة تلك
الأيام ، أيام العواصف العارمة ، عندما كنا معاً في القرية الوسطى ،
وأصبنا ننام معاً هناك ، تلك صباح أربع الكفويين لها سمات
الصباح ، فهذه من السمات غير العادية التي تترسخ في الذاكرة نحو دهبها
من الحماض ، وكذلك ذاكرة الفنايات الغريبة ، والذوق الملتصق
والمفهمة ، وأتأمل أن لا تنكر مثل تلك الأيام نفسها ، وأن
تتألم إلى الأبد في صياغة حبيب مرضي للجميع ، بلوب عذري في
منطقنا ، هذا ما أريد . وإن لم تكن عني الثقة الكاملة بدافلية
التي هي في هذا الحاضر .

رغم موت أيام طفولتكم معنا بسرعة - هذا هو الخوف الذي شكلت منه ،
وهو يختلف عن الوقت ، وهو مثل القلق القابل عندما تتكلم وكلمة
كلمية ، وعندما تم الاتصال والسمات أثناء الليل بطلا شديد أثناء
ارتفاع صوتكم وقصصكم - وكما تعلمون لقد كنا أنا
والدنام قد نزلنا دمت معاً خمس سنوات تقريباً قبل مولدك
يا جمال ، مفتنا أولاً في أبوليس لفترة عام تقريباً ، ثم
اختارنا لنقلنا إلى أريحا ، حيث فعلت لك والدتك في حاضنا
الأمير هناك ، ولانزلت أذكر ما يوم ما قبل شريفك
بوقت قصير جداً ، حين وسمت فجأة إلى الحقيقة أننا سوف
نخرج يوماً ما من تلك الشقة (، شيلون) يا أمه العشي

وإنتا منى تعود صفاً يكون ثلاثة، وليس (ثني) كما كنا، وإن
الذات، لن يكون كماي ثالث آخر قد يأتي لزيارتنا في البيت،
وإما صفاً يكون هو، مثلنا تماماً، صاحب ذلك البيت، وجاء
الوقت بعد كحسرات مختلفة (كحسرات من الولاية الطبيعية،
و كحسرات العزلة للبناهم الجديد، والافتقار مع شدة الحفلات لتزويدها
بها مثل صغر، ولتعارين هياكل السيارة عن البيت إلى المصطفى
هي نتعرف على آمور أهل الطرف، إلخ) وكنا في ذلك الليلة
عند أصدقاء لنا نأكل طعام العشاء، جالسين على مصطبرهم شربهم
المحلاة على النهر، عند ما تقصر الجحافة، وأصبح راءداً، فذهلنا
إلى السفة، ثم جالسنا أن عدنا إلى البيت، ولم نكن سامات
مليلة حتى جاء الحوم، فقفزنا من الفواش، وأهربنا الإقتالات
اللازمة، وهرعنا إلى المصطفى. وفضة ذهبت الوقت، وقر
اليوم، وبعد الزمان طويلاً جداً، بل وكأنه لم يمر إطلاقاً،
مع أن كل هذا الزمن القصير تروى هائلة من أمتيكم ورجالكم،
وأنتم اليوم تشعرون أن العالم قد بدأ بكم، وأن الزمان
اللا محدود أمامكم، بمغامراته وأنتقاماته وإفكاته وشره،
وأن تلبسوا كلغة جديدة (زمنية) هي شقة هودكم، ويستبدل
بكل هيكل آخر، وهكذا يكون كل منا قد قلبه أهله، فأكتف
شياً ما في ذاته، وأدرك سعادة ما، وسأهم شيئاً ما، لكن

الأصل دائماً إدراتك التواصل بين المتفاعلين ، ونفذي هذا الإدراك
ويؤدي تلك الإثباتات الذاتية وتلك العادة وتلك المصاحبة ،
فالنوم والقعود ، والليل والنهار ، والحياة والموت ، فالليل يتواصل مع
النهار (يولم الليل بالنهار ويولم النهار بالليل) ، وساعات النوم تتواصل مع
ساعات اليقظة ، وتندد الحياة والموت ، فهنا أيضاً يتواصلان ،
أهدهما قبل الآخر ، وبعد الآخر ، والنوم كما يقولون ليس عبثاً مطلقاً ،
والليل ليس ظلمة مطلقة ، تماماً كما أن القعود ليس يقظة مطلقة ،
والنهار ليس ضياءً مطلقاً ، وهكذا فعلينا بالعلم أن نذكر الأمر بصفته ،
طأ أعلى ، وأن لا نتعلق بأهدهما دونه الآخر ، بل نتفاعل ونخني
في إظهار إهداهما الحالتين بوجي تام للكلية الثانية ، واعتبارها بذلك تواصلًا ،
وتنظيم هياتنا وأفئتنا ومساكننا وأعمالنا ارتكازاً أي هذا الومي
بالتواصل وعدم الانقطاع .

وأقول هذا لأني أعرف ذلك الإحساس بالخوف الذي يملك الإنسان
نحاة ، تلك الرهبة العقلية ، عندما تحظر بيانه ، ولو للحظة عابرة ،
إمكانية فقدته غريب لديه ، وهو يقابل تلك الأدغام بشراسة فائقة ،
فما أنه ما تكلمت أن تحظر بيانه هي يدفنها ثانية ، فكننا نجب مع
ذلك أن نصف أحوال تلك الأدغام ، وأن نتعاضل معها ، ونفعل كيف
نتعاضل معها ، والواقع أننا بالقدر الذي نستطيع فيه من الوقوف
أمام تلك الأدغام والتعاضل معها ، فبذلك القدر نُثري قدرتنا على

الصفات ذاتها، وعلى العادة، وعلى الخاصة في هذه الكيفية، رخصتها
كنت أرى أنها تبقى على قدره سيده كسبها أقول لها أن يذلل أنانيةها،
أي أنها تترك على راسها على نفسها، أي على صفاتها لا تتركها ورفضها، إذ
أنه هو لا يخلو من أنه يكون، أما قد انتقل إلى الحياة الآخرة، وهي حياة الله وأسمى
وأجلى أن يكون قد انتقل منها، وبذلك أنها قد فقدت الحس بأن يندم أو
ما يشبه (وهذا ما يؤمن به البعض الذين لا يتركونها على كفايتها، توطئ الحياة الروحية
بعض الكفوف الجدد)، وهي الكاليتي، فهو لا يفقد شيئاً أبداً، ولا يفقد شيئاً
أبداً، ولا يفقد شيئاً أبداً، ولا يفقد شيئاً أبداً، فلم إذن
الجنة والبراء إن لم ^{تكن} أعزاً وبراءاً أنانية، أي ليس على التعديل على الإنسان
نفسه الذي يبقى وباللذات في حياته هو قد انتزع منه رضى وحب
حقيق، وهذا، فإن على الإنسان أن يتغلب على أنانية هذه،
وأن يتعلم كيف أن يتعايش مع هون وألم هو من جملة الأذى
والآلام التي تعرض له في حياته، وكيف أن يدرك بأن هذه الآلام
والآلام مصدرها ليس الثقة على الغير، أو على المفقود، وإنما على النفس،
فإذا تعلم ذلك، وعز بين الثقة على الغير والثقة على النفس،
كان أيضاً كان قد طور من قدرته الذاتية على التعايش مع تلك الآلام
والآلام التي تعده من الثقة على النفس، فيستطيع حينئذ أن يقبل
على الطريق التي قد تعرضه، وأن يعيش قدماً في حياته لتكفي ذاته
وأجله، والى أروع بالنسبة لكم أن يكون أهدأ وأجلاً إنسانية

بالدرجة الأولى، تُسم تلك الأخلاقيات التي تميز بين هذا الإنسان
وذاك من الدروب، كسلوك الأناس بالمعروف والنهي عن المنكر، والعدل والحكم
بهم، والآفة بالفير وهدية المعونة له، والمعدة للحق والوقوف له، وإعلان
صوته مرها لكك النفس. أمثلة كل ذلك، وما لا يحصى عندنا وذكر بكلماتنا
على سيد، وآنتم تعرفون وأنا أعرف كيف بيت أنا على سيد، وهذا أمر طبيعي،
إذ ابني ببيت لذي فقدت صديقاً وكاشفاً ومرشداً ومرجعاً وسنداً، لكن
حدود الحزن معقولة أو تبقى لذلك فقط عندنا نذكر كما قلت، أفطسها
الشفقة على النفس، وفي حالة كرهية، أي كفتدي لوالدي، ومعنى أن سبب
ذلك هو فتدي لهذه المصروف من العود والإرشاد، فالحق الطبيعي هو أن
أفصح أحسن في ذاتي، وأنا أفصح في هناك، وأدان أنتف
تلك الصغرة التي تكلمت سابقاً عنها، والموجودة في كل دهننا،
وفي صغرة الذات الصلبة، والتي فتدي معنى فتشروا فينا ببيع العود والإرشاد
والسند الذاتي، وهكذا يتقلب الإنسان في هذه الصغرة بالذات، وتصبح
النافذة بالنسبة له محدودة في إطارها المعقول.

وأعتقد إن كدي هذه الحزن والدم، أكان الشقة على النفس أو على الغير،
يمكن أن يعين أحياناً في مؤونة الأمور وييسرها على الغير، فعندما
تم أحسن في ذلك، وأدعني قبل ذلك، وهنا كنت أفك بأهملية الأمر،
تلقه وأساني إدراكي بأن هذا العقاب وما يواكب من ضيق، إنما
هو حتى يدفع كل فلسطيني، أي هو حالة يجرى كل فلسطيني، وبذلك

فإن الثقة على النفس، كذا قيلها بما يؤيد من هذا الخبر، تنقلني في
الحكم، خاصة وحسبنا يبين المراد مما يشبه به بما يعرف للأهلين،
كقوله مثلاً لربيد أو اثنين، أو لثلاثة صابرين، فما يقضون العس
لله، أو مقبله، ولهم وراء القضاة، أو كفتاة قد فقدت بصرها،
أو لعل فقد أحد أعضائه، والمقصود في كل هذه الأمثلة أن أقول
إننا حين نتف بالدم أو الخمر أو الضيق، فيجب علينا أول ما نفعل أن
نحدد إذا كان مصدره هو الثقة على النفس، وبه ذلك، وإذا
التفتنا أن هذا هو الذي بالفعل، فقلنا أن نفيس على علينا، وأن
نفيس على دورنا الذودع في الحياة، ولينفذ صوف لمكتات أن
مقدورنا بحكم وتقليد هذا النوع ما نحن هو الضيق، وأن نفيس
تبدأ لأنفسنا بالنفيم به، وذلك بدلاً من جعله يتخذ أحكاماً
صناعية كحقيقته، والوهن أمامه حتى نصبح حبيداً له، وصدق
هذا الحكم أننا نتكلم عن مشايضنا ذاتية أو متاع رغبة ذاتية
إذا أن الرغبة أنفسنا، وإياه كان وجودها طبعياً في الذات وهي النفس،
الأ أن في المخلوق، مثل الفنان لا هو نصيب هي الحاكمة على فعل الإنسان،
بل يجب على الإنسان أن يسعى ليكون سيد نفسه، ومانعاً في سيد
ألم وحزنه وضيقه وفوقه من جهنم، وسيد رغبته وشهوته من جهنم ثانية.

لم أقل لكم كيف ذهبت وجوه غير محمد جمال وعبد الله ومحمد ذلك
 الماء قبل يومين حين جاء الغمرتنا لتوديعنا وهم في طريقهم لغزة
 الانتظار (عزينة المحمدينية والكنازية) قبل سفرهم لوسيرا وسائر
 السراير. نياتي ذهبت كما أذهنت من معجزة أراها متمثلة أمامي
 وذلك من ثلاث إلى وجوههم. رأيت كثيراً أكاد أن أقول من
 السود إلى البياض، وكان وجوههم في السجى منذ أن أتيت إلى هنا
 وتوفت عليهم كانت سوداء إلى تلك اللحظة، فجاؤوا وقد تبدلوا
 وجوههم كما تغير الماء من ليل إلى ليل، أو صانع نفسه على وجهه،
 والغريب أنني مع إيتي وكما قلت سابقاً كنت مدركاً لى لا النفسية
 البنية التي يجب بها صير، وبالتالي فإن تغير الملامح ذهبت الماء
 لم يكن مفاجئاً لي لتلك المدة، إلا أنني لم أكن أنوصف تغيراً جذرياً
 على ملامح الآخرين، فبدأت وكأني لم أكن أعظم قولاً تلك المدة،
 وهذه، على ما أحس، أقرب ما رأيته في حياتي لما قد أصبح ملامح
 العادة (بالتشابه رؤيتي ملامح وجهه أحياناً في كل مرة وضعت
 أهداً فكم، وقد يكون أيضاً بالتشابه ملامح وجهي في تلك إلى لاء،
 إلا أنني لم أكن بالظن أراها).

أحياناً أحس قدرهم البياض الصفيد، وذلك بعد غياب هواي
 شويين، وكان قد ذهب في هذه الأثناء لسين هين وسائر إلى سجن

والله. وقال لي انه قابل د. جودج الهندي في سبتمبر ١٩٥٤م. بعد فترتي الأفي
من التحقيق في الزنازين، كما أفترض بإطلاله سراحه بعد ذلك - حل
تذكره يوم أننا إلى البيت في أدنزل أيام الحرب وبنى تحت صنع العنق
جاملاً مع كل شئ تقريباً - الحبة والكبد وخبز - إلا السمك !!
وكيف عمرت إهدى فططنا (ولا أذكر من هي فطناً) أن تستطاع سيارته
من الداخل، ربما نبشيت الهروب معه من فضة صنع العنق ؟
جاء الضيف بعد كل حال وبذلك أصبحنا الآن في الإكسات الثلاثة مرة
أخرى، وأنا لاذلت في رنم ١٢ مع محمد كوس ، والصفي في ١٣ ،
مكنه حلت معنا حدة ساعات في النهار ، ويرجع إلى فطنته هوأي
الساعة ساعة .

والدتي هذه الأيام بينما دور حول فطر توار اطلاله سراح ميل ألف شهر
منطقة الصيد والطبع ففقدت فطنته أرضاً أن سيري علينا أو على العنق
منا تفنيد . وبالتالي فأنني الآن أصبحت في وضع غير مستتب نفسياً ،
إذ أصبحت أتوقع أن يأتيها الكرس في أي لحظة ليخبرنا بأنه سوف يتم
سرحنا إما فوراً أو غداً . وهذا وضع غير مستتب للناس ، وقد يشبه
الوضع الذي عاشه زملائي في الفيف ١٤ و ١٥ و ١٦ ، الذين كانوا
في ظروف أن يبت شئاً حاد في أي لحظة ، ولكنهم لا يعرفون أي لحظة
سكون ، وقد سوف تكون ، وهذه الحالة أصعب بالطبع من أن يكون
الحرب مستراً في الرأي أو الموقعة بأن الآن الذي ينظر دورته سوف

حيث بالنسبة لي يوم كذا، أي في تاريخ معين، فهو في هذه الحالة الأضحية
يستطيع أن ينظم حياته وأن يعطي نفسه فرصة براقة مستبعدة - وهذا ما فعلته
حتى يوم أمس توبيخاً، إذ كنت مرثاً وأما في برنامجي على السبيل به
كل أسبوع - فقد وضعت لنفسى برنامجاً في البداية، فكدت أجد
الأمم لكاتبه بهذا المقالات - السبيل في المخصصة ومراجعة كتاب زهيرمان
عن الفارابي، ولقد استرسلت كل ذلك الأمر زمناً لا بأس به، ثم وضعت
ببرك لكاتب التي أريد قراءتها، ولكنني - الأضحية - ففعلت هذه الرسالة
المخطوطة لكم، وكنت حسب الجدول المخطط يجب علي إنهاء هذه
الرسالة في نهاية هذا الأسبوع، أي يوم الجمعة على أكثر تقدير،
ولكن الآن آتيت لمرثاً ~~والله~~ لتنفيذ هذا البرنامج، والذي يتلخص
أولاً أن أنتهي من قراءة الجزء الأول لتفسير القرآن للصابوني،
ومن قراءة الفصل للمكاتب روز زهيرمان، وأرجو أن أتمكن من تحقيق
ذلك خلال اليومين القارئين، إلا إن كودة الصفي قد
تأخر على ذلك، إذ إن ذلك يعني زيادة وقت الكتابة والنقش،
والكتابة والنقش مهم جداً، بل لقد تعلمت كثيراً من فعله أثناء
قمتي هنا، فلكل إنسان خبرته وتجربته وأفكاره، والإصلاح
فناً، أي أن نتعلم كيف نصفي للنفس وكيف نتعلم منهم، وأرجو
أن تدركوا هذا الأمر في حياتكم، وأقول ذلك برأيي كثيراً ما
يتفرب حكم أبقان هذا الفن كذا الكثيرين، بل جعلهم يكون فناً.

الفصل الثاني

الحسين لكونه من لعب كرة القدم، وفي آنا لانه أنظر قليلاً ريثما
ينتهي من لعبه من لعبه الدوشى من شاطئ الدفول والمصالحه والعرق
تصب في عرقاً، وتقه بكل جزء من جسمي ووجهي، وبألى العرق
بأزاحة النقية والاعانة، أن يهوى المرء نفسه لعباً ورغماً، من تصيب
العرق من كل جزء من جسمه، غيائى في النهاية للاستعداد والأهبة، وينقل
لعب كرة القدم كلياً من السجى، وكأني أصبح في عالم آخر، بعيداً عن السجى،
وحرراً منه، وينصب الجسماني فقط على الكرة، وعلى الهدف، وعلى نحو
اللاعبين في فريقى وفي الفريق المصاحب، وهكذا انهمى ساعى من الوقت لا لعموم
الدين ولد أفكار سوء الكرة، ونصفت معاً على أخطار بعضنا البعض،
ونصفت من حين فخطئ من، فالحمد يهتف أكثر باللعب منه بالدين،
علماً بأنه الاثنين ملكة سان، إذ إن التفرقة لا يمكن من الإستمرار باللعب
حالم بيتد بتحقق الأضف والعقود.

كما وانقشت اليوم أيقنت من سعي لنا بالذهب لشراء الكاهيات
من الكافيتريا، وحبسني بعد نصهم فكانت الكافيتريا مظنة لمدة عمر
أيام قمرياً، وهكذا فكانت تعيش على متجبات آهنة بالتدني من
درية الإلهام،

كنوار دى ذهني صور متخالفة بعضها قد بدأت آنقد القدرة على تمثيلها
 و توقعتها ، فاني آرى أمامي برق - صل تذكر يا هجال - وهو متعلق على سرب
 غيمة الطوارئ في مستنق المفاصل ، و يخضع بكل رجولة و بهدوء تام و آحين
 نقطة للطبيب الذي يخز الإبرة في شفتيه لتخفيف ذلك الجراح العتيق ،
 و آخفا انه يعض له بينما نستم بلعبون كرة القدم كند البران ، ثم كنوار
 و اللواتي في ذهني صور من حصول الشيء حيث عندما أدققنا البيرة
 على طريق بيزيت و دخلنا شيئاً إلى أحد الكفول حيث صعدنا رهاك
 جليدياً (أقصد بالذوبان على ما أذكر ، يومياً حتى انتهى ، بينما كنت آرى
 دهاً و أياً أياً الحاصف جيد ذلك ، ثم آراهم يلعبون رهاك جليدياً
 آخر في حديقة بيت تاماً وسيدو ، و يلعبون القفزة على رسة ، و في ضفة
 السجائر ، ثم آراهم قد ذهب في البيرة إلى الخليل كنياً عن التلويح ،
 فتجد حلاً صغيراً ، و تلهو قليلاً برمي التلج على بعضنا ، و لا أعرف يا هجال
 ان كنت تذكر ذلك اليوم في البلدة القديمة ، حين وصل بنا الأمر أنا
 و أمك يوماً ما هكذا أصبح لا طاق من كدة بياضك القافض (لم يكن بكاءً
 حاداً ، و لكن كنت هو قد عرفت ، كما يبدو ، و بسبب هذا من شبي
 صواصل صعل في كبريتك و أنت صغير السن ، أن تلجأ للبكاء الصارخ
 كمنياً لم غبارك ، بعض النطق و يبدو احتفاء ما قد يسببه ذلك لوالديك)
 فوضعتك في غرمة ثوب الكفام (استعملناها أحياناً كغرفة نوم للحيوانات
 اللاتي حين لمساعدة الحماط الماها و خاصة عندما أصابها مرض الريقان ،

وأحياناً لم تجعلها مكتسب (وأغلقت الباب عليك ، وقلت لك
يا لك لن يخرج من الغرفة حتى أن كلف عن الصوامع ، ولم يصدق الأمر في
بادت الأمر ، فواصلت الصوامع بضع دقائق ، وكنت ما إن انتهيت
إلى تفتيحاً هجولاً قد مرأ على المعاملة ، وأن وقت الصوامع قد انتهى ،
وإن مرحلة جديدة قد بدأت ، حتى انقطع الصوامع في رمتي عيني ، ففتحت
عليك الباب ، وكنت سألتك إن كنت قد استوعبت هذا الدرس الجديد ،
هكذا - برأسك الجائناً ، ولم تعاني بعد ذلك من ذلك السحاب ،
والتي كانت بحق تعمل على تداعي ببيتنا النفسية . ولم تعاني من تلك
المثالة بنفسي الدرجة فكلما يا أبال ويا براق ، أما أبال فلذلك
كنت هادئاً بطبيعتك ، وأما أنت يا براق ، فأعتقد أن وجود أهوة أكثر
منك من هولاء كان سبباً في جعلك تتوعد طبيعة العلاقات
بين الكبار والصغار ، وبين الصغار . ولكنكم تتقوا بالذنب
وكم سبباً من الصوامع أي الفقهاء لمي عندما أذكر أنني لم أقضي وقتاً
كافياً معكم بالمثل الذي كنت أتمنى ، بل قد نصت قضاء العتة الكافي
لقرعة القتل لكم بالأنبيات وبين قد صعدوا إلى الفراش ، ولا أعرف
ما الذي حصل تحديداً ففتحتني من ذلك ، وربما بدأ الأمر تدريجياً ،
حين كنت أجه نفسي أذهبهم إلى البيت مرصفاً في أعينهم ، وبوجه الخلود إلى
نفسى يهدى ، وعندما بالطبع كانت ~~أما ما تقرأ~~ العتة عليكم ، وكأنت
الأيام ، و أصبحت خادة ، فأصبحت شئ وكأني أجاز هذه العادة
ولا أقدم المطلوب إذ شئت يوماً بلطفاً أن أهبط في الفراش

حيائكم ، وتوالت الأيام مرة ثانية ، وأصبح الأمر في طيها الماضي الذي لا يمكن
المصادفة أو تفسيره . لكنني أريد أن أقول لكم ، إنه كل حدث أو عادة وكل
مقام ولا يمكنني من صياغتها في نفسي هي بالنية في فقدان وفناء ، ومن
تفروا القيمة الكاملة مما أقول حتى يكسبكم السن وتصبحون أباداً ، وتجذبون
أنفسكم في نفوسكم هذه الأوضاع الصاعدة والرياح والعواصف التي تشل إظهار
الحياة التي نعيشها ، فتأخذ تنجسون في سائر العلاقات الاجتماعية ، وتأخذ
في سائر الكد من أجل توحيد السيلة المادية المطلوبة ، وتأخذ تجرث بكم ربح
السيلة مما أكلها وأتعبها ومخاطرها ، وتأخذ تظفي عليكم ألبود الدارة
والإنسانج والإبداع ، فتعقلن جميعها من زهاكم الذي تعيشونه ، وتنفكر في
نفسياتكم ، بحيث تجدون أنكم عند حدودكم إلى سيوتكم بحاجة إلى إيجاد
معتقد ويثر تخصوصون منه كميّاً ، لتلقطون فيه أنفاسكم ، تمل الخلود إلى
القوم . ولكن النفس الكفيتي الذي يدفعه الإنسان مقابل كل هذا هو عدم التعلق
من الاستمتاع والتمسك بالثانية في حياة الأولاد . وكل ما أريد به منكم أن
تدركوا يوماً معنى هذه العبارة ، علماً بأن علينا أن نحمد الله للذوات التي تظفيناها
معاً وتتمتع فيها معاً ، خاصة وإن منا أنفنا بالكثيرين ميزنا ، ليس
منهم فقط العاقل الذي يسيطر قبل الصبايح حتى يتبعن من الوصول إلى مكانه كعله ،
والذي يجمع إلى بيته بعد أن يكون أطفاله قد فلدوا إلى النوم . وهذه العواصف
في حياة العاقل ضللاً في قطاع نخوة شبه عادية . بل أيضاً منهم هؤلاء في البلدان
الأخرى الذين لا يكادون يرون أطفالهم سبب انتقامهم بالإلتهامات

والعمل ، والذي قد يسلمونهم إلى المدبرين الأوفياء من صفرهم ، فنكاد العلاقة
بينهم تشبه أن تكون محض علاقة طارئة ، بالمعنى المرفى للكلمة . بل ربما
أصل ما بيني وبينهم أني لم ألتصفت بما كنتم من كل شيء أن أفهم بعض الثورات
عظيم . وإن كنت قد قلت في تكويني هو مستقر مع كل واحد منكم ، عبيدنيكم ،
فما بيني وبينهم أن يأتي الوقت مستقبلاً حين تستطيع معالجة هذا الأمر ، وما يدري ،
فقد يكون الحوار على كبر من فضي قيمة الحوار في الدنيا الأولى ، مع إتيان تشابه
لكل لحظة قيمتها ، فتارة تمك بها وتارة تذهب أدراج الرياح .

وأما الآن فأريد سريعاً أن أرفع للصواب . فالأصير من تلك الدواب التي
تمتلك قوة تبدو خارقة على البقاء والاستمرار ، مثلها مثل الجوزين والبق ، نعم
البق . ولا زلت محظوظاً في غرضي هذه لعدم تعصي لحظة هذه لغارات البق ،
وكان ذلك بسبب تشبه الشتاء ، ولكن زملائي في الغرض الأخرى ، وبعضهم قد
قض أربعة وخمسة سنوات في هذا السجن وفي حيزه ، يؤكدون لي أن مرحلة
البق آتية لا محالة ، وذلك خلال الأيام والأسابيع القادمة ، بينما
تواصل درجات الحرارة بالارتفاع ، ويبدو أن البق من الحيوانات أدحضات
الصفية ، التي تجد ملجأ لها في البطانيات والخزيم الصغيرة في الكيلان وأماكن
غيرها أثناء الشتاء ، ثم يخرج وتنتشر في أيام الصيف ، ويقول زملائي أن
أحد البق في السجن كذيفة ، بل يمكن بعضهم من رؤية صف كاعل لها ، نصف
إحدى هذه الأخرى ، تأهباً كوض المعارك التي تفضل اختيارها ، وهذه المعارك

هي المحاولات الدوائية للالتصاق بجسم السجين ، والغريب في أمرها أنها ، وكما
قلت ، كما يجوز أن والعلاوة لديها مناعة ضد الأدوية والسحوم ، بل يؤكد بعض
الأطباء في السجن ، أن الأدوية التي يقوم السجون بشرها أثناء اللصيف بهدف
القضاء على كتاب البق إنما يزيدهم محمداً وإضراراً . والعلاوة كذلك ،
وهي غير آبهة إطلاقاً بوجودنا في هذه الغرفة ، بل وصلت درجة الوقامة عند
إهدأ به ظهر هذا اليوم أن وهدتها بقيت تحت وسادتي عندما كنت
سائياً أقرأ كتاباً ، ولا أعرف سبب اختيارها لهذا الموضع بالذات ، حيث
أد من المعلوم أن الصرصور يلاحق فضايت الأكل ، ولا يأتيه يجد الإنسان ،
وهو بذلك يخلف عن البق ، فكل إظهار عمله ، والأدوية موزعة بشكل
طبيعي . وأما الجوزين ، فأكملله أننا لم نلاحظ استضافة أي منها في
هذه الغرفة بعد ذلك اليوم . المستوم ، والذي ذكرته لكم في رسالتي قبل الآن .
(التي أرسلتها لكم) حين سيطر التبغ أبو صعب بعد أن أحس بوطئ
أناطل رقيقة وفقيقة على وجهه وحية ، فإذ به يزدنا ضخم الكيم . وقد مر
القيام بعملية التطهير في الغرفة . ولا ندرى من أين جاء ، كوننا على الطابق
الثاني (الطابق الأول هو متباعدة ساحة حمل هوة للجوزين ، ومماصة في التنازين
أو نمف الاستجار أو بجانب المطبخ أو في حلبة العارات) ونحن هذا التبغ
أبو صعب ، الذي وإن كان قادراً على وجه كثيرة فهو كما نلاحظ ، إزاء أي
ممثل لفصيلة الجوزين ، فكان رقيقة آنذاك في الغرفة الآن حاتم عبد العاد ،
وهو إنسان مميّز بالقدرة على تحديد حجم المشكلة الحارثة أمامه ، وعلى ابتداء

الأساليب التي قد تبدو غير متوافقة لحليها، إذ وثب فوراً من قرنته هذا الاستماع
لاستغاثة صاحبه، ومثل بغساة الحكماء (التي نظفت بها قاعدة الحكماء "الافرنجي"
الموجود على مقربة غير مستعملة إطلاقاً عن الغاش بالغرفة) وظل يلاحق بالجردون
المذكور حتى تجتمع في الفضاء عليه تماماً، وداراه عالم الكهفاري من خلال بالوحدة
الحكماء، منذ ذلك الوقت، كما أقول، ونحن لم نعرض لزيارة أخرى متتابعة، ولا أدري
إذا كان السبب هو الهيب الذي شاع في عالم الجردون للأخ هانم عبد القادر في
هذه الغرض، بعد تلك المعركة الشهيرة، أو صيام أبو طهيب و هانم منينا
بعد ما غداق نافذة المعبري الهوائي الدخلي، وهذا المعبري هو بمثابة نفق،
أو مثل شبكة واسعة من الأنفاق بين غرف وأقسام السجون، ومن السهل جداً
لدي جردون ذكي ومغامر أن يستبها عتابة شبكة طرق تسمى بها من العوالم
إلى أي نهاية أو بقعة داخل السجن نختار الوصول إليها واستطلاع الأحوال
المعيشية والغذائية فيها.

كل عام وأنتم بخير،

السلام أول أيام العيد ، ولقد سمعت لن إدارة السجن أن نقيم صلاة العيد
بحر اليوم جماعة ، فالتفتنا في الساحة لحوالي الـ ١٥٠ و التفت صياداً ،
وكان هناك حوالي ١٠٠ من السجناء ، كما وأرسلت لنا هيئة أمناء السجن
بعض الكليات ، وذلك لخلاف شخص اسمه سليم الهليلي ، والذي كان
معتقلاً إدارياً في هذا السجن قبل مدة ، وسكن في هذه الإكبات التي
نوفد فيها نحن الآن ، وفي مساء بعد الظهر ، سمعت لن إدارة السجن أيضاً
أن بعض سائرين في القوّة بدأ من صلاة ، وهذا قلقة أضفت علينا
هذه الأحداث هجواً من العيد والتغيير على الروتين .

كما وأنا اليوم أيضاً سمعنا تدمير أحمد ، وهو ابنتنا بأنه ثلاثة آخرين
سوف يتم تغييرهم جداً ، ولهم أبو محمد ، وقد كان عمره أيضاً هي مثل بقية
شابع عندما لم يتبدل هيف ، و الأخ هاس ، وكان هنيئاً في الأردن
و تم أسرهم حين حاد السلل عبد الكود ، ومن مزاره ، إلا أنني لونه ~~حظ~~
للحتم حاضراً في كمة القم ، أنه أيضاً كان مؤذن الفجر ، ولم كان صوته
جهداً ، ولم من الجبل أن سمع صوت الأذان في خضم السجن ، فيضع منه
هو إلى الطهنتان ، والعمود ، والاستقرار ، ولا أعرف لماذا لم أذكر صوت
مثل الدن ، ولكن حين مقارنته مع الأصوات الأخرى التي تكلمت عنها سابقاً ،
تبعكم لكم لكونه يوم هذا التبريل ، ومثيرة التي في بعض الأصوات التي
سمعها ومع هذا الأذن ، تم تغيير الآخرين من الواقع ، ولا دون قلوبهم

على وجه الكيفية ، وكانوا موضحين في غير المدينتين . وهكذا ، ينبغي استناد
مقطع من النسخة الذي يشتمل على الرجل ، وهما مروان ، وهو جندي أردني أيضاً ،
والأخ فايز ، وهو من حركة فتح ، وكما نرى في جيتي الترميز اللطيفي ، رغم احتمال
مثل حوالي أربع سنوات في سفينة في عرض البحر .

وهذا فإنه ساءة الفترة أصبحت واسعة جداً لعدتنا المتناقص ، إذ إنه حدثنا
الآن قد تعلق إلى ١٤ ، وسقف يتقلص مرة أخرى الأسبوع الدائم إلى ١٢ أو
أقل ، والمتبقون سوف يكونونه أنزاد قرب الله برفقة اثنين من جماعة أحمد
جويل ، ولحم هيميتا مرطوبين بصفحة تبادل جميلة ، وكلمة الصفي ، في الإكس
المبارك ، وزييلي في هذا الإكس ، كلمة كويس . (وكلمة كين العت بعد
شبعين لخروجي أنا ، وإذا تمت في كلمة الصفي ونقل من هذا المكان إلى آخر
السجون المذكورة ، سوف ينبغي كويس في كلمة الإكس وحيداً ، ينظر قضاء
فترة حكمه التي سوف تستمر خمسة أشهر ، مما سوف يكون صعباً عليه ،
الذي إذا عادت السلطات ، والحققت آخريين من القدس إدارياً . ووضفنا
في هذا المحلل قريب ، إذ إنه وبعد خروجي من هنا ، سوف يكون كويس
الوحيد من القدس المعتقل إدارياً .) (وهم يفقدون المعتقلين الإداريين من القدس
عادة في هذا السجن) .

كما قلت في البداية ، فإني أعتني لكم جيداً سيدي ، وبالطبع فإني كنت
أستمر أنه أكثر ، معكم ، فأنا معكم في الصباغ حد سيد ، ووضو الرصد
على حبه كما تفعل في هذه المناسبات دائماً ، ثم نلتزم بعد الزيارات العالمية

على وليمة القاد ، بعد أن تكون قد قضينا شهراً من معاشرة الإلهام
الذي وكتبت الشهادة والكتبات من خلال الصوم . وإني وإن لم أهتم
هذا الشهر بمتقنين يوم الجمعة الأخير ، فقد عكفت على أمر آخر لم أفعله
منذ فترة طويلة ، وهو مواصلة قراءة القرآن إلى النهاية ، وكما ست
سعداً يأتي وقت ذلك ، وكما ست أيضاً بانغماس تام في آياته
وسوره . بل يمكنني القول بأنه كراءي للقرآن هذه المرة - لا أدري لماذا ،
وقد يكون لاضاف ذهني شيئاً في هذا السبب - قد ساعدني في استخلاص
أمو كثيرة لم تكن متجلية في السابق بهذا الوضوح ، أو إطلاقاً .
ومن ضمن هذه الأمور ، والتي لم أكن أفهمها لها في السابق ، القيمة الإسلامية
التي يوليها القرآن للعقل واستعماله . وهذه قضية عامة بالطبع ، ولكنها
تتجلى أكثر على تحجير العقل من أجل فهم مغايري ورسالة القرآن
الإسلامية ، بل قد شجعتني للتفكير ما وراء ذلك تأمل جديد ، وهو
أنه إذا كانت المحييات البشرية في السابق هي هبة للرب وللوهي
لترسيدها في الطريق القويم ، وحثها على الإيمان بالعقيدة الدينية
الإسلامية ، فتكأن القرآن حيث المحييات البشرية المكشورة شيئاً ،
والتي تقتدر للرب والوحي ، لتفعيل العقل في فهم الكون وإدراك
حقيقته ، الأمر الذي سوف يهدي هذه المحييات لنفس تلك الحقيقة
التي أُنشئت إليها الرسل في المحييات الغائبة . بل قد أحرق للعقل
بأمر أكثر كبرياً ، وهو أن المجتمع البشري هو في فترة آدمي ، هي

فترة العوز للمعجزة المجددة آداب الجمعية لكت على الايمان بالقيدة
الدينية الاسكسية ، حيث ان الانسان حينها لم يكن ليصدق رسولا او
شيئا ما لم يعلم هذا الرسل بالانسان بمعجزة خاصة للعامة اما قوله
فيدينا الربيع مثلا لم يكونوا حين حاول قوله حرقه بالنار ، وسيدنا موسى
الضطر لاستقبال العوا واليد البيضاء المضيئة لاصناف من يكون بعدة
وسيدنا يحيى تكلم في مهددة ، ثم هو بعث الموتى و آلهة الكافرين ، و ان
لم تحت المعجزة في حينه ، فهي هتفت بآثر رهي ، كما هتف لقوم لوط و
نوح و غيره ونوح و غيره ، حيث ان الآلهة الخارقة أنت لتثبت صدق
هؤلاء الرسل والانبيا ، ليس امام قومهم هم ، بل امام زمره المؤمنين
من قومهم ، و امام الأجيال من بعدهم ، و أقول ان هذه كلها بمعنى
لتصنيفها بالمرحلة الاولى ، حين كانت ضالكة خاصة للآلهة الخارقة
من أجل تقويم صورة المجتمع البشري ، ثم أنت المرحلة الثانية ،
وهي مرحلة جدوا القرآن آلهة جديد ، وهي مرحلة ففي اكدت الخراف
أو المعجزة بالمعنى الأولي الضيق ، و التركيز على مخاطبة الانسان على تخلف
الجيوش العظيمة ، النفسية منها والاجتماعية والعقلية ، وتحويله من فلال
ذلك على الايمان بالحققة الدينية الاسكسية ، و اكدت العقلي في هذا المبدأ
ارتكز للعقيد السريسي ، أي مطالبة الانسان بالاختيار في التاريخ ، و للعقيد
الطبيعي ، أي مطالبة بالاختيار في الطبيعة من حوله ، و اما تحت
النفسى مكان من فلال وسيلة قاطعة الآن لدى علماء النفس ، وهي

وسيلة الترتيب (الكيفية كما يتمناها الإنسان أن تكون) ~~سويهم كما يحتاجون~~ أن
تكون ~~والتفردية~~ (هيهم كما يحتاجها الإنسان أن تكون).

ولكن ألفت هذه المرحلة الثانية أليفاً اطمعتم من النوع الكبدية (ليس أعمال
تبدو سحرية أو خارقة ضا وهناك ، بل مجموعة منظمه من الأقوال التي
لم يكن بداً للنفس في حينه من الدقة بها ، والدقة بما لها). وهذه
المعجزة من النوع الكبدية إنما ساحت أصلاً في البدء في تحريك صيرة المصنف
الشرقي في حينه باتجاه الاعيان بالصيغة الدينية الأسلمية.

لكنني الآن أؤكد بأن وقع أثر هذه المعجزة ، أي التأثير بها في قبل النفس ،
من شأنه أن يقل مع الزمن ، إذ إن جيل هذا اليوم مثلاً ، وبخلاف جيل تولد
القرآن ، غائب عن مشهده ووقع هذا الحدث ، ومن هنا ، وأتدأ بعين الانكسار
قوله تعالى أنه حمداً هو آفة المسلمين ، فليد بدأت أفك بأننا اليوم ندخل مرحلة
ثالثة ، وهي مرحلة الاستيعاب ^{خبرة} من القرآن بواسطة العقل تلك الكائنات

و الدلائل التي تقود للإيمان بالصيغة الدينية الأسلمية ، وكان الإنسان اليوم ،
وفي هذه المرحلة الثالثة ، وبعد زمن المصنفات القديمة ، وبعثات الرسل ،
ومعجزة القرآن ، قد تصلح للدرجة التي أصبح قادراً فيها على الإلتحام على
الذات ، وذلك في استنفذه الحقيقة والإيمان بها ، وما أدل على كونه حدث
هذه المرحلة في القرآن نفسه الذي يركز إلى الحث على التفكير وعلى السمع
العقل ، ومن القول أنه حمداً هو خاتم الأنبياء ، وكما أن اليوم قد أصبحنا
نملك الأسس التي يمكننا منه ، لستفصال كقولنا ، وبدوره مصنفات أخرى ،

انه يتوصل للإيمان بتلك العقيدة الدينية الأسكنية ، والأسكنية ، بالعلم ، هو القرآن ،
الذي يطالبك بل وتحرضك على سلكها العقل .

لقد أثبتت عدة مرات إلى "العقيدة الدينية الأسكنية" ، ولقد افلكني شعور عند
قراءة القرآن والتأمل به أن تلك العقيدة الأسكنية هي نفس التي جاء بها
رسلها بني النسي كافة الأنبياء والرسل ، بمن فيهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى
وعاد وعيسى وغيرهم ، وأنه محمد أمين جاء ، إنما جاء ليتحقق ما أتى به هؤلاء
الرسل من قبله ، وهذه العقيدة الدينية الأسكنية هي التي يحياها القرآن
بالإسلام ، وهي إسلام سقوي ، ليس إسلاماً جزئياً أو عقيدة جديدة
محددة على سبيل المثال ، بل هي الإسلام الذي به جاء إبراهيم مؤمناً ورسولاً ،
وهو الإسلام الذي به كان عيسى رسولاً ومؤمناً ، بل وسقف تجد الحق في داود
وسليمان ، وهم الذين أقاموا دولة اليهود في القدس ، مسلمين بالعلم هذا ،
أي بالعلم المتخفف بعنايه هذه العقيدة الدينية الأسكنية ، وهي بكل بساطة
الإيمان بوجهانية الله ، وبالغيب ، والبعث ، والخلق ، والإسلام لوجه الله ، وهي
أخيراً ، وهي ناحية المثلث ، الإيمان بفعل الخير ، والنهي عن المنكر ، والشر .

لكن محمد يشير إلى بعض الانحرافات لدى أولئك الذين تبعوا ديانا اليهودية
والنصارى عن تلك العقيدة الأسكنية ، والتي هي الإسلام بالعلم الحقيقي والسقوي ،
ومن هذه الانحرافات قتل القدر باسم الله الكذب ، ولذا ، فمنهم أضراب من اليهود
وأضراب من النصارى ، وهو يدعو هؤلاء المستعصرين للعودة إلى دينهم الأصلي ،
أي إلى العقيدة التي أتى بها رسلهم ، ومن هذا الباب والمدخل ، فإذا كان

يدعو اليهود قتلهم القاصب ليهوديتهم بالمقتل الضيق ، وبالتالي جعل يدعوهم
للانتقام من النصارى أو المسلمين ، أو إنه كان يدعو النصارى كذبه لعدم
القاصب لميلهم بالمقتل الضيق ، أي جعل يدعوهم للانتقام من اليهود والمسلمين ،
منه صلاً على ذلك كأنه ألقياً يدعونا نحن المسلمين أن لا نقتلهم لإسلامنا
بالمفهوم الضيق ، أي على حساب اليهودية والنصرانية ، بل هو يدعونا لأن نكون
مسلمين بالمقتل الضيق ، أي من خلال الحقائق نفس تلك العقيدة التي أتى بها
الرسول اليهود وسيدنا محمد عليه السلام ،

أكتب سابق لإتي النبي محمد بنى الغيبة والأخرى وكان بعض المسلمين يتعصبون
لدرجة الاعتقاد بأن الإسلام ديناً خاصاً بهم ككلمة هي وأمة من عائل . بل قد
نظروا للإسلام بالمقتل الممكدي ، أي كان الإسلام هو خاصية محمد ، ويبدو
لي أن قمة تقديس ، ولو غير متكافئ ، بشخصية محمد في هذا التوجه ، في الوقت
الذي نعرض فيه أن محمداً لم يأت سوى إنساناً من البشر ، تمتزج فقط بأمة عظيمة
الله تعالى لنقل رسالته ، لكن الأصل هو الرسالة وليس محمداً ، والرسالة شمولية ،
عملها اليهودي والنصراني ، وإذا كان كذلك ، فكماتني أي أن الإسلام يدعو
للتوحيد بين الأديان ، وليس للاقتتال بينهم ، ويركز على القسام المشترك ،
و يدعو الأحزاب التي انحرفت عن ذلك القسام المشترك للعودة إليه والتكاتف به ،
والطريق إلى ذلك هو الحوار ، أو المفاوضة المحنة .

لكن بعض المسلمين المتعصبين يرون خلاف ذلك ، وهم يرمعون تلك الآيات
والسور في القرآن التي تحض المسلمين على القتال لإسناد رأيهم ، صبيطين في

ذلك حسب رأيي ، وإجتهادي الأولي ، ان تلك السور والآيات ، إنما تعالج
أهدأ كانت تقع في حينه ، بين مجموعات معينة من الناس ، يهوداً كانوا أم مشركين ،
وبين المسلمين في بداية عهدهم ، ولكننا عندما نقارن بين هذه الآيات من جهة ،
وبين الآيات العقائدية من جهة ثانية ، لا نملك إلا أن نشعر بأن العامة العامة
التي أرادنا الله أن تؤمن بها ، وأن نشرحها بها هي مجموعة تلك الآيات التي تؤكد
على وحدانية الدين الحقيقي ، الدين الذي أتى به كرامة الرسل ، الآخر الذي
يتطلب منا ، مع التفكرات التي هطلت منذ ذلك التاريخ ، أن نتبع سبل
الكور والمحاذلة الحثيئة بين الديان هذه بهدف التوجه بينها على قاعدة
القيم المشتركة ، تاركين جانباً الاختلافات صلياً في تلك العبادات ،
والتي يقول القرآن بأنها لله ~~يحكم~~ الذي سوف يحكم فيما بينها ،
فالذي أقوله إذن هو ان هذا الانتاج ، وهذا الحث على العقلانية ، وهذه الدعوة
للمحو بين الملل بهدف إبراز القيم المشتركة (وهو العقيدة الدينية الأساسية ،
أو الإسلام بالمعنى الشوكي) هو الذي يميز القرآن ، أو قل هو رسالة
القرآن لفناء الإنسان في هذه المرحلة الثالثة من تاريخ تطور المجتمعات
البشرية .

اليوم الثاني للعيد.

لعيد اليوم ذكره القدم لليوم الثاني على التوالي ، وكلمة ساعتين أضيفاً ، وأنا
بالنسبة لتقدير فترة الفترة فيه العيد ، وسوف نرجع بعد ذلك للنظام القديم ،
وأنا بالنسبة لذكر القدم ، فيبدو أن النية الآن تنصب على الجميع للعب يومياً ،
وذلك بسبب تناقص عدد الأسرى اليهوديين معنا بعد سف الهدم الأربعة قبل
بوصين ، ولأنه معظم المتبقيين ، باستثناء هيايف وأخ آخر معه فاني ههنا ،
هم من اللدنيين . واليوم ولأول مرة تكلمت ضيفة في صدي أوهجيني
كثيراً ، ولأنه زال تعافني هي الآن ، في ساعات الليل ، وأرجو أن لا تكون سرور
مع بيت سيلتم بعد قريب .

والوقت لا يزال يمر ببطء ، فخدمت الزقاق ، ولقد وكيت أص لندرة ضيفة
تلك أن قل لفترة أيام حين لاحظت شعور عوي قد أفتينز ، وهو نيام في
السرير الأرضي ، وأحياناً ألاحظ رأسه عندما يقوم ، وأص للاحظت فجأة
أن مرمحه قد اهتفت ، وأن أعوداً قصيرة سواد من السرير نظى رأسه ، فلما
نقلت له بلاحظتي هذه ، ذكرني بأنه قد انقضى ألف من عشرة أيام منذ أن قل
شعوره على الظهر ، فاستغربت حينما حاولت رفعه . تلك الواقعة في ذهني عندما
حان بعل ذلك ، ودر بها باليوم ، إذ كآني لم أستطع أن ألاحظ فترة ضيفة
تفرق بينهما (بين تلك اللوعة وبين اليوم) . منهاكم الأمن ، وأنا مثلك
إني عندما أتهم من السعي بعد هواي سبوحين ، و أمهل نذكر حادثة اليوم في
ذكر القدم ، فوق يبدو لي وكأنه هذه الحادثة حصلت فعلاً منذ يوم أصي ، بينما
أنا اليوم أرى فترة الأسبوعين العادية فترة طويلة جداً .

ولقد كتبت لكم يوم أمس عن تطوري للإسلام ، وأنا أعلم انكم إن قرأتم
هذه الملاحظات تجدون ان يكون ذلك إلا بعد طبقة سنتين ، إلا انني أعمل
مع ذلك أن تكررا هذه الملاحظات عندئذ ، وأتقن دأرجو ان تكون مفيدة
لكم .

وإن سمعتم بي ، فإني أريد أن أخلص بعض الفئات الرياضاني وبعض الفئات التالية
للموضوع قريب للذي كتبت عنه ، وهو ينطلق عن مقولة الشمريني والكت على
للمعالم العقل ، وهنا فإني أعترف لكم اني طامحا ستو بعدم الثقة العلمية
بنبوة محمد ، بل إن أضفت بها وبالقرآن ، فكأن اني هذا كان قد كشف
له بقعة معينة من دعايي لا علاقة لها بالقياس الآتي ، وخاصة الفكرية
الفاعلة منها ، وفي الحالة هذه فكأنني كنت أخافني من انفساها ، حيث وصف
الديان ، وقد وجد ، على جهة ، والفكر الفاعل الفاعل على جهة ثانية ، ولم أجد
على المزمع أو المثل بينهما ، فإني أرى ان الديان والعقل لا يلحقان .
لكن الشمريني على المعالم العقل في القرآن شجعني على أن أخلص تجربة
حمد وإدانة بالنسبة للمنطق والعقل ، حسبما أدليت به ، وقد لا يكون
كثيراً ، ولكن دعني أضع بعض الملاحظات التي فكرت بها في هذا الشأن :
(أ) دعني أقترح أمراً لم يكن يؤمن بالله أصلاً وبأنه كان يفترض القول
(الامر الذي يجر القرآن من كاشته أصلاً) في سؤال الذي يلج نفسه في هذه الحالة هو :
ماذا يكون لها أنه فكراً ومعللاً لتثبيت الايمان بالله عند الناس ، وللديان
بالعقيدة الصحيحة الإسلامية ، بينما يفقدوه هو ؟ ففي هذا الافتراض تدبراً للمفارقة

والعقل.

(١) دعي أفتضح من جهة ثانية ان كان يؤمن بالله ، ولكنه مع ذلك كان يفترى القول
والسؤال الذي يطرح نفسه في هذه الحالة أخوه وأخته من الذي قلبه ، اذ كيف من
المعتول ان يتبرأ الاقرار على الله في الوصية الذي يؤمن معاً بوجوده ، عتبراً
في عمله ذلك بخاصة الامر ، كما يؤمن به ، والعقل والمنطق هنا انقيا لا
يقبلان مثل هذه الفرضية (اللهم الا مراء ، وليس موضوعياً) .

(٢) يتبقى اذن ان يكون مؤمناً بالله ومؤمناً كذلك ان السلام من وجهه .
انكم قد تقولون : هذا جيد ، ولكن ، آليت علينا ان يكون مؤمناً بالله ومؤمناً
كذلك ان السلام من وجهه ، دوره ان يكون الامر كذلك بالفعل ، أي دوره
ان يكون هذا السلام وحياً بالفعل من عند الله ؟

(٣) وهذا السلام منطقي ومعتول بشكل عام وصف القاعدة . لكن السؤال الذي
نفسه في هذا الموضوع بالذات ، وهو ما هو السبب أو الداعي الذي جعل محمداً في
الحالة هذه ان يؤمن بان هذا السلام هو من وهي الله ؟ والمنطق هنا يقول ان
الموضوع بحد ذاته هو ان محمداً لم يخف عن تخيل إمكانية ان يكون هذا السلام
من عنده ، واذ هو اعرف بما يمكن ان يصدر عنه ، فلا يمكن ان يعقل بالآلي
ان يكون هذا السلام منه .

(٤) يتبقى ان يكون هذا السلام صادراً من خارج محمد . فاما ان يكون هذا الخارج
شراً مثل محمد - وهذا تسلسل اللزوم يربط ثانية إلى هذا الموضوع ،
(من هو هذا الإنسان ، وهل كان يؤمن بالله ، وهل كان يفترى القول . إلخ) ، أو ان يكون

من غير الجواب. وإذا كان من غير الجواب، فالطرف الوحيد الذي يُعقل أن يكون
معنياً بالرسالة التي تحتويها هذا الكلام هو نفس ذلك الطرف الذي يهدي
النفس من خلال هذه الرسالة نحوه، وهو الله عز وجل.

(٦) ومع ذلك فقد يقولون إننا لم نرسلنا بأن الكلام ليس صادراً من محمد،

فيبقى معنياً أن يكون مجموعة "محلوسات" طُرأت عليه، منهي ليس صادرة عن

طرف واحد ذي دعي وحي ورسالة. وطبيعة الحال ثانية، فهذا الأمر ممكن حسب

القاعدة العامة والمطلقة. وعلى السؤال هو: هل يمكن في هذه الحالة أن

يُدعى المرء ارتكازه للعقل والعقل مع اعتراضها أن الرسالة التي تحتويها الكلام

هي مجرد إلتصاف كقوى مجموعة من الهلوسات اللاواعية واللامنظمة؟ أم كيف

أن العقل يرفض ذلك (إنه المنظومة الروحية والشرعية والناحية في الرسالة).

(٧) قد يقولون: أتى بالقطعة والإشارات من الأخبار والهيئات مجتمعة معاً.

ولكننا نرجع في هذه الحالة للمع كل التي تمحضت في النقطة (١) و (٢) - إنه

كان لا يوصف فلم يضحى دعي قد من أجل الرسالة، وإنه كان يرفض، فكيف

يُتجرأ على الاعتداء؟ أو قد يقولون إنها لم تكن له وأعطيت من قبل

أحد من الناس، ولكننا نرجع في هذه الحالة للنقطة التي أثيرت في (٥)،

وهي إننا نستعمل الله في تحليلنا أي هذا الغير، ونخصه لنفس الأسئلة:

التي سألناها بخصوص محمد، أي إن هذا الإشتراك لا يحل لدينا هذه المسئلة.

يبقى إذن أن نقول أن العقل والمنطق يوجهان صيغة نبوة محمد، وذلك

من قبل أنه شرع في دراسة أو التأمل بتلك الآيات أي يدل على ذلك.

هذه اذن ، افكارى فلهي نبوة محمد ، وآخرة ان فكت بها ملياً ونظماً
أكثر امة مع نفسي ومع اعمالي ، اذ كانت استطعت ، لنفسي على الآمل ، ان
أبى تلك الامة التي كانت موجودة كذا بين يقين متمايزين من الدفاع ،
وهما بقعة الايمان الموروث ، وبقعة التفكير الفاعل والذاتي . ولذا أقول انه افكاري
هذه هي برهان دافع لا قدرة على دفعه ، بل أقول انه الايمان بهذه النبوة يستند
إلى العقل ، وليس أمراً منفصلاً عنه ، بل وإن أدنى الآن بالجميع المتأصلة
أو المتعوضة ، بما في شعر ان السبل إزادها ليس الهروب من الفصل والملتقى والجمعة ،
بل تفعيل هذه الأمور وصولاً للرد المتطلب .

وهذا فيتميز ثنائي أيام العيد ، وأخبار الأواني المحملة بملحمة بالكرم من زيارة بيكر
المترتبة والدمى على الحلى السبي ، وكذا اليوم قد اكتفينا بأنفسنا غذائياً بتوضير
الموضوعة ، وهي طعام لم أكن أستدركه من قبل ، ولست أتييت عليه منهم هذا
اليوم . وأنا الآن على وشك متابعة الكتاب الثاني في مجموعتك بإجمال ،
وذلك قبل أن أجد إلى النوم ، وأكون قد قضيت هذا اليوم .

وما أصدق ذلك التعبير بالانكليزية "doing time" لشي قل وقفاً في السجن ،
تلك الهدف الأساسي عند السجن هو تمرير الدقائق والساعات التي تكون فيها
فترة مملوكة ، وهو بالتالي مملوكة فعل فإنه يكون وبالضرورة قد يمر بعض
الوقت ، وهو لا يخسر الوقت بل يكسبه ، لأن كل دقيقة تمر منه تقربه من الدرجة
المترتبة ساعته الإخراج عنه . ويصبح الوقت بالتالي كله الأساسي ، اذ هو تفكر
بالدقائق لخصاء هذا الوقت ، وفي النهاية ، يكون الوقت رتبة الأساسي أشاء سبحانه .

ثالث أيام العيد

لم ألبس كزة القدم اليوم بسبب الوجع في صدري إثر الضربة التي تلقيتها يوم
أصبح، وعليه، فقدضيت الفت أمتي نهائياً وإياباً في الساعة، أردت مع
أخي فايز بالأغلب، كما تكلمت قليلاً مع بعض الأسرى الموجودين في الحبس، وبالأمس
من ذلك فإني رجعت للفرقة شاعراً ببعض القبح، وكان قضاء ساعة في
الحب أمتع قليلاً ليضيء بالإنهاة. وبينما كنت أقوم بفصل طلابي الداخلية
يوم أمتي فوجدت عندما سقط الخاتم من إصبعي، مما جعلني أتألم فإني عندما قد
فقدت بعض الوقت خلاله هذه الفترة. وهذا أمر جيد، لأنني كنت في الخارج أزداد وزناً
يوماً بعد يوم، بسبب الأكل غير المنقطع والقيام بالرياضة والحركة.

وبصباح هذا اليوم أخذت ثمانية للكافيتريا (الدكان) في الطابق الأرضي، وبينما
نحن منتظمين مشاهد السجناء اليهود الذي يعمل على توزيع الصحف على المخابر المختلفة،
نقال في هيئات أن هذا الشخص هو نفسه "سارعة النسيان" وقد نكوننا سمعتم عنه
إذ لم يوفق على حياض الشراع الإسرائيلي لفترة ما فخلد العاك أضافي، حين قام
لوجهه وبالسؤال الدائمة النارية على يأسطو على أكثر من عشرين طوقاً بنتلياً،
وصدعهم إلقاء القبض عليه أخيراً، وحين آتت حكيمته، سمعت بعض الأصوات
الإسرائيلية التي تنادي بأشغال العقوبة عنه، وذلك لكونه لم يصدق على عمليات
مخفية، ولأنه لم يؤذ أحد في عمليات السطو، وتذكرنا، أي هذه العمليات،
استمت جميعها بالجرأة والخيال. ولكن وبالطبع فإن هذه المبررات لم تكن لتثنى
عن مجموعة العائون أو الكدّاض محبته، وهذا هو الآن، يعيش في الضباب الجليدي
السحيق، مع غيولون بضمه، يوزع الجرائد على المساجين الآخرين.

فلما تذكر ذلك اليوم في صيف العام الماضي ، حين ذهبنا إلى السيف في
النيوزيلند ، ثم فورنا بعد فموفنا أن نذهب إلى أم المطامم 'الواقعة' ،
وذلك اتفاقاً بين ميلاد جمال ، ووفنا من السينما ، وفورنا علم الذهاب
للمطعم الغريب الذي ألكنا فيه ذات مرة ، وبعد تفكير طويـل فورنا الذهاب إلى
بومب ايل . ثم أقفـت يا براق في السيف الذي قبله يدع ايل ، والذي
بذلك وكأنه يارس بكليتها ، بل ويرز شاهقاً في تخيلك هي أصعب
لأنك غفـت أو يارس إن لم ترسم في تخيلك صورة هذا البومب اساقف ،
والذي كانت تحبة الصعود في مصده ~~كثير~~ الفتيان لديك يا أبل !!
على أية حال ، ذهبنا في العطار الأرضي للمنطقة الوثية من البرج ، ثم مصينا هي
وصلنا ، وهناك انضج لنا أن المطامم خالية جداً ، وإن الطابق العلوي على
أية حال كان قد أغلق بسبب السقف في المساء ، وهكذا ، فلم ندر ما نفعل ،
ونزلنا مرة ثانية ، مصينا باتجاه البيت متعبين موهين ، فهاهنا وأهنا لم نجد
سيارة نسي وأمة شجرة الاستعمال (أحسب أن اليوم كان السبت) .
وهكذا مصينا ومصينا ، هه بجانب تلك البرك العائنة التي بللتم أنفسكم
فيها يوماً ما قبل ذلك سنوات حين فورنا في باريس في القان ، وبدأنا
بالاكتفاء منذ ذلك بـسنوات السبع التي تباع على جانب الطرق ،
والن حين وصلنا إلى الهوة في ساحة توكاريسو ، كانت أيضاً على وشك
الانغلاق ، واضطرونا مرة ثانية لمواصلة المشي ، وكان براق قد بدأ
هو وأجمال بالصور بالنفاس ، وهكذا لم نتمكن تلك الليلة من يدفن

المسي والرهافة ، نحو البيت ، لدى وصلناه شاعرين بأننا قد أضغنا آفرا ليلتنا
في باريس ، والشام ، نخل الوقت والظاف بارتكاز المطلب .
وَأَذْكُرُ هَذِهِ الْمُنَاسَةَ لِإِثْنِي وَأَنْتَايَ السَّحْنَى كُنْتُ أَمْرًا أَهْمُ رَأْفَتَهَا ، وَهُوَ وَفِي
لَكَ يَا هَجَالُ أَنْ تَجْمَعَ سَوِيًّا إِلَى طَعْمٍ حَبِيبٍ مَوْزٍ عَوْدَنَا إِلَى الْقَدَمِ ، وَكَانَ فِي ذَهْنِي
عِينَهَا أَنَا فَذَهَبَ إِلَى طَعْمِ النُّورِ دَامَ بِجَانِبِ مَدْرَسِكُمْ ، إِنْ إِنْثِي لَا أَذْكُرُ يَأْتِي
وَفِيهَا بِهَذَا الْعَهْدِ ، وَبِالْثَّانِي فَلَقْتُ أَبَاتُ أَمْرٍ بِجَانِبِ الصَّغِيرِ لَقَمَ حَيَاتِي بِعَيْنِ
ذَلِكَ . وَهَذَا أَنَا الْيَوْمَ أَرِيدُ حَمْدَ ثَانِيَةِ أَنْ أَهْدِي هَذَا الْوَعْدَ ، وَفِي تَقْنِ
بِمَعْنَى عَنْ فَرْوَجِي عَلَى تَفَاصِيلِهِ وَهِيَ حَيَاتُهُ ، أَنْ تَجْمَعَ سَوِيًّا إِلَى أَمْرٍ الْمَطْلَامِ لِلْمَقْصَلِ
لَعْدِ صِلَادِكَ السَّابِقِ ، وَذَلِكَ حَقٌّ أَنَا حِينَ صَوَّرْتُ حَيْدَ صِلَادِكَ الْعَادَمِ فِي الشَّهْرِ
الْمَقْبَلِ . وَأَجْعَلُهُ أَمْرًا أَنْ تَسْجُلَ تَعْنِذُ هَذَا الْأَمْرِ ، وَذَلِكَ هُوَ كَوْنُ
الْأَمْرِ مَوْثِقَةً بَيْنَنَا !! عَلَى آيَةِ هَالِ ، خَافِيَاتُ أَمَامُنَا فِي الْأَشْهُرِ الْمُحْكَمَةِ لَيْتَ
كَثِيرَةً فِي هَذَا الظَّرْفِ ، وَأَمَّا بِالْمَنْبَةِ لِلْوَضْعِ الْوَدِيِّ ، صَوَّفَ يَوْهَدُ لَدُنَا بَعْدَ فَرْوَجِي
فِي السَّحْنَى صَوْرًا أَهْمًا عَمَلًا فَتَقَبَّلْنَا إِلَى طَعْمِ سَوِيَّةٍ !! عَلَى كُلِّ هَالٍ عَيْنِي
عَنِ الْأَخْبَارِ السَّالِيَةِ الَّتِي تَجْعَلُهَا تَأَنُّ الْأَوْضَاعِ الْكِبَالِيَةِ تَدْتَقِنُ رَهْبَةً دَرَامِيَّةً
فَلَمَّا لَمْ تَعْرِفْ الْمَقْبَلَةَ .

وَأَمَّا عَلَى الْهَوِيلِ نَارِيًا هَجَالُ أَنْ تَعْنَى مِنْ تَلْبِيَةِ ذَوَاتِ الْمَنْطُورِ فِي الْمَطْلَامِ ،
هَذَا الذَّوْقُ الَّذِي لَمْ تَعْرِفْهُ فِي بَلَدِي تَأْنِيْدَ ، حَيْثُ أَهْدَانُ حِيلِي إِلَى الْإِغْلَابِ هُوَ لَدَيْ هَذِهِ .
وَعَنْ عَلَى بَعْدِ الْخَوَافِ ، كَمَا تَمْ أَوصَفَ صُلَا ، لَمْ أَدْرِ فَرْوَجِي كَذَلِكَ فِي هَجْرِهِ ،
بَلْ كَانَ ، عَلَى مَا أَذْكُرُ ، لَا يَرِيدُ كَثِيرًا بِهَذِهِ الْحَسَنَةِ ، وَهُوَ الْيَوْمَ فِي خَاتَمَةِ الدَّمَةِ

مخصوص نوعية الآكل ونوعية الشرب ونوعية الطعام، وفتين كل ذلك على الوضعية
والمناسبة، وهما آتيتان، والذي إن لم ^{يكن} دقيقاً لنبغ الهلافة بخصوص الوقت والمناسبة،
~~مخصوصا~~ الطعام والكلام بالنسبة له آخر هويي. وعلى فكرة، قد استغفون أنا زكي
ليس كذلك إطلاقاً، وهو يشرف نبع الألفاء من ساندوتس وسيلج أو فلافل
كوجبة مرفعة الوضعية. وأذكر مرة حين كنت في أبو ظبي قبل أن تأتي
ولديكم، أي قبل أن تزوج، وكنت أكن عند زكي، فكان في المساء ذهب
إلى السينما، وتم نشر ساندوتشات الفلافل عند فروجها، مع علبة الكولا
وكأن ذلك بالبدلنا بكل طعاماً شهياً ومناسباً. كنا أحياناً عندنا
الحاجة، فذهب لأزكي عند صيرة أو خالدة أو سائدة أو عادية، وذلك في أوقات
الحاجة للطعام الكفافي.

لقد كانت تلك الفترة في أبو ظبي بالنسبة لنا غريبة جداً، وأنا سعيد جداً بأننا لم
نبقى هناك، واننا أمرنا انشراح صار آخر في حياتنا، قد يكون أذى إلى كونا
ناحي مشرق، ولكنه مع ذلك وفر لنا حياة مقبولة، إذ إنه القيت في فلسطين
وفي القدس، ونجونا من سلطان المال بكل أبعاده وحيثياته، أعلنا فرصة
أفضل لكي نكون وندقق معاً، فربيعين من بولينا الوطن، وعند أبريق اللسانات
المالية ونحوها. بالطبع، نحن نضع نحن ذلك - مثلاً كم قدرتنا للعيش في ذلك
الحسوى الذي كنا سوف نعيشه لو كنا في أبو ظبي أو الكويت أو صليلاًها، ولكن
لا زلت أعتقد نفسي سعيداً بالكم من هذا الزمن.

وهذه قضية شخصية، إذ قد ينمو بينكم من يريد أن يحقق الترات، ومما

يدري ، فقد يتطوع أحدكم يوماً ما أن يسري خجلاً أو قهراً شراً منكم ،
وخلق هذا العلم للإعداد به بني البشر اليونانية . والذي لا زلت أعتقد أنه
صحيحاً . ولو كان حاجة إلى بعض التخطيط المسبق ، والتدريب المطلوب .
بل ما الموصف له أن يكون المال آمراً ضرورياً لا يمكن الاستغناء عنه إلا أنه ،
ومما هو ثابته ، فلا يعني إلا أنهم أولئك النظم التي لديهم الذكاء الكافي
والقدرة على تجديده . فكل " صيله و قدراته ، ولد أظننا عادلين إن
كنا حكمنا على آهدهم بأنه أفضل من الآخر بسبب ~~صله~~ صيله أي صوره وقدراته ،
فالهم أن يبدع المبدع في مجاله ، مهما كان ، وطالما لم يتعدى بالطبع على حقوق الآخرين .

أريد الآن أن أذهب هذه الرسالة المأثورة لكم . فهذا هو بعض الصناعات
المتبعة فقط . وأريد أن أخرج هذا القدر في زيارتكم العادية ، لأن
نقص إخراجها عندئذ سوف يكون أفضل .

والذي أتينا به معي إنما كنت قد نويت لعبادة القدم بالكم في أربعين طبعي ،
إلا إن آدم في بداية اللعبة حب الكرة جعل اختبرت فيه التأخر الشبيبي ولسوت
في مكان لم يتمكن من التوصل إليه ، وبذلك أقول قد أعفيت اليوم أيها من به لا مجهود
بدي ، وأنا الواقع متأكد لهذا الأمر ، إذ إنني لا أتصور حاجة إلى الرافعة .

الوضع في السجن لم يتغير كثيراً ، بل تشاء بدينا بأنه ~~في~~ الحالة القوية سوف نرجع إلى
الصباح الآن وبعد أن افترق شهر رمضان المبارك . من العاملين في الصناعات وهم سجناء
صديق ، يبدو أنه الصفي قد بدأ صفة درسته مع آدم من الكاهن العفريت ،
وهو يتكلم معه باللغة الروسية ، ويحكي للعديد منهم . وهو (الذي هذا الشيء) ومنهم
بعض المرحومين الموقرين ، وأنت تعرف شيئاً من الثقافة فهوهم (وعداً أفضل لكم
شيئاً عن ذلك عند فوجي) . والتم أيضاً عاد القيد للعمل ، بعد انتهاء فترة كان
جنبا عاطلاً . وليلة أنه قضيناها مستمع إلى صوت الفرفقات الغنائية التي
كانت تأتي من ناحية عقيدة القلة . وكان صوتها قريباً جداً من كلاً من الحرفين المنصت
الليل . ثم تبعه صوت حفلة موسيقية صاخبة وكان ذلك بمثابة خبر استعلاهم . وبالعمل
لا يصح المراسمة إلا أنه نشهر بالألم العميق في مثل هذا الوقت ، ليس سبب
صغارهم ، بل بسبب شقاوتنا الذي سبب عنه .

وهذا ، فإنا سوف آراكم حينئذ من خلال السموات ، وهذا قد أتم
سوف نلتقي ثانية ونكون معاً ، ولقد استعنت بوقتكم بشكل عادي كثيراً خلال
هذه المدة ، ولست أخت للمسا ولتأنا - أريد أن تكونوا قد اعلمتم به خلال فترة
سجنكم - وأنظلم للبحر الذي سوف تستعملونه من أن تكون معاً ، مع ابني أخوتي
أنا نغرق في الزمان الذي لا يحصى والآن

دعوني أرى حالكم - فلما قلت لكم في وقت سابق في هذه الرسالة ، أريد أن كما فعلوا
عليها لا ياتحكم القادة - إذا لم يبق ما قد ياتحكم الآن ، وفيها ما قد ياتحكم ذاك ،
والآنم ابني كنت قد قلت يوماً ما خلال العام الماضي بكتاب رسالة لهذه لكم ، لأؤكد
لكم فيها هي لكم ، ولست هوكم بقرب ما قد يصعب عليّ أو علينا بممارسة ذلك
التيام والأوقات العادية ، بل وكما أنتم في الفرصة للتكلم إليكم ، وإيضاح مشاكستي
هوكم ، وأيضاً حقيقة كمنظف بعض ما كنت أريد قوله في الزمان السابقة ، وفيها ما يعني
أن أريد قوله لكم صديق ، لكن والمعرفة بهذه الفرصة لم تتم هي هذا اليوم ، وأفل
البحر .

ولا أدري ^{بعض} ~~بعض~~ يعني أني لا أستطيع أن ما للسموات التي لي ، ونكت أولياً بالهوى ،
تعدتكم هذه ضللت أو ضللت أضيء لكاً علينا مستقبلاً بل وتداق
أنا أملاً المستعنين المستعنين في وقت لاحق .

وتذكر دائماً إن والكم كيحكم ، وإذا إن لم تبين ضا أن يكون معكم في بعض الأوقات
لاستبدال أو تقبيل فهو دوماً يشاكي لكم ، ويود لكم أن لا يكون لحياد أنفسكم
عين ديمو هوكم ، وليس ذلك الوقت (الوقت) بعيد ،
استهت ملاحظتي في هذا الصدد

